موسوعة

# تاريخ لبنان عبر الأجيال

منذ فجر التاريخ حتى الاستقلال

الجزء السابع

# دولة لبنان الكبير

"من العام ١٩١٨ الى العام ١٩٤٥"

تأليف
عبد الله ابراهيم أبي عبد الله
أستاذ لغة وتاريخ



دار نوبليس

اسم الكتاب : دولة لبنان الكبير
المؤلف : عبد الله ابراهيم ابي عبد الله
عدد الأجزاء : ٧ أجزاء
قياس الكتاب : ٢٤/١٧
عدد الصفحات : ١٧٦ صفحة
الخطوط : حصروني
دار النشر والتوزيع : دار نوبليس

# توطئة

في الجزء السابع، والأخير، من موسوعتنا «لبنان عبر الأجيال» نستعرض المرحلة الأهمّ من تاريخ لبنان. ففي هذه المرحلة بالذات وقف اللبنانيون أمام مفترق خطير، يحملون من الماضي إرثاً ثقيلاً من الصراعات الدامية، والمداخلات الغريبة، ويتطلعون إلى غد مشرقٍ، مستقرٍّ، وزاهر. بعضهم رأى هذا المستقبل في الاتحاد مع جيرانه، وبعضهم الآخر، وقد أعياهم حكم الآخرين، أصرّوا على استقلالية الوطن الجديد، بحدوده الطبيعية والتاريخية. ولم يكن اللبنانيون وحدهم على طاولة النقاش. العالم كلّه كان يتطلّع إلى المولود الجديد، ويطمح لأبوّته ورعايته، وتسجيله على خانته في دائرة النفوس، والنفوذ. وحده اللبناني الغيور على هذه الأرض التي جبل ترابها بعرق جبينه، وفتت صخورها بسواعده، وزرع ترابها برفات أجداده، ودماء شهدائه، صاح في وجه الكون: أنا، وحدي «أمّ

الصبي». كفاني ما عانيت من ظلم الغرباء على أرض وطني. وكادت صرخته تضيع بين ضجيج الاطماع، ووسط الأفواه المفتوحة لابتلاعه، إلاّ أن الحقّ الذي يتشبّث به أصحابه، ويستميتون في المطالبة به، لا يضيع... وأعيد الحقّ إلى أصحابه الشرعيين، وأُعلن مولد «الوطن الكبير»، ولو برعاية وصيٍّ عليه، فالوصاية أقلّ خطراً من الامتلاك.

وعاش لبنان الجديد، فترة انتداب كانت امتحاناً لشعبه في استحقاق هذا الوطن، وانتزاع حقه الكامل، واستقلاله التام، والناجز. وكان له ما أراد، إذ لا بدَّ في النهاية من انتصار الشعب. وانتصر لبنان الوطن، لبنان الحدود التاريخية، لبنان الكيان المستقلّ، ذي الوجه العربي، ليشقّ طريقه إلى جانب أشقّائه كريماً عزيزاً سيّداً.

وعسى المستقبل يزيد هذا الاستقلال منعةً، والعزّة رفعةً، والكيان قوّةً، والكرامة سطوةً وانتصاراً... وعلى الله عزَّ وجلَّ الاتكال...

**جران - البترون في ١٥/ ٧/ ١٩٩١**

**المؤلف**



# الفصل الأول

# لبنان في مطلع القرن العشرين

## الوعي السياسي والفكري

من أبرز النتائج التي خلّفها انتشار المدارس، في أواخر عهد المتصرفية، قيام حركة أدبية، وفكرية واعية، وناشطة، على كافة الصعد. فإلى جانب الكتب، والنشرات، والصحف، والمؤسسات العلمية، والمنتديات الثقافية التي أخذت تظهر في أوساط المثقّفين، برزت حركة سياسية قادها هؤلاء المثقّفون من رجال القلم والصحافة. واستتبع ظهور هذه الحركة وعي شعبي، ولأول مرة في تاريخ البلاد، لمناقشة مستقبل الحكم في لبنان، وشكل النظام الذي يلائم هذا الشعب. ولم تصبّ تلك الحركة في مجرى وطنيّ واحد، بسبب تفكك البنيان الوطني وشرذمته إلى ولايات، ومقاطعات، ومناطق بعضها محكوم من أبنائه، والبعض الآخر من غرباء.

وكان من الطبيعي أن تظهر تيارات سياسية متعدّدة، بعضها

يحمل الولاء للجبل اللبناني الذي جبل ترابه بعرق جبينه، وسفك على ساحاته الدماء الغزيرة. والبعض الآخر ينتمي إلى محيطه الذي يجمعه به تجانس الدين واللغة، وفوق هذا كلّه يشدّه إليه التقليد الاداري عبر القرون والأجيال. ولم يكن من السهل على ابن طرابلس التي ألحقها ولاتها بالشام، فعُرفت عبر السنين «بطرابلس الشام» أن يشدّه فجأةً، ودون سابق إنذار، حنين إلى «جبل لبنان»، هذا الجبل الذي كان، بفضل إرادة المحتلين والغرباء، على عداء مستمرّ معه. كما كان من الصعب على ابن الجنوب، وهو الذي جعل من جبل عاملٍ، أو بلاد بشاره، وطناً خاصاً به، ومنح امراءه وحكامه الولاء أجيالاً، أن يرى في الانضمام إلى هذا الجبل الذي كان «موطناً للدروز والمسيحيين»، وطناً له، وهو أقرب إلى والي الشام منه إلى متصرّف «جبل لبنان».

وكان لا بُدّ من قيادات واعية لتصوّب تلك الولاءات الموروثة، وتهدم هاتيك الجدران المغلقة، والحدود المفتعلة، بين أبناء الشعب الواحد. وقد ساعدت المصلحة الواحدة، والجامعة الواحدة، والمقعد الدراسي الواحد، والكتب الواحدة، التي جمعت خيرة أبناء الوطن ومثقّفيه، على خلق هذه القيادات الواعية، ذات الشعور الواحد، بالانتماء إلى شعب واحدٍ، وأرضٍ واحدة، وإن باعد المحتلّون بين أبنائها أجيالاً طويلة، وأفرزوا تلك الامارات الخادعة، والولايات المصطنعة، بقصد قهر هذا الشعب، وابتزازه، وتحريضه، بعضه على البعض. وكان لا بُدّ من أحزابٍ، وجمعياتٍ تتبنّى هذه الرؤية الواعية لمصلحة المواطن، ومستقبل البلاد، وتقود هذا الشعب الباحث عن حقٍّ سليب، وإرثٍ مغتصب.

وأضف إلى ذلك، تلك الأفكار الثورية التي عاد بها



المتخرّجون من مدارس الغرب، ومن مدارس الارساليات الأجنبية التي كانت لا تزال تعيش وسط بريق الثورة الفرنسية، وحقوق الإنسان، والثورة الأميركية، بالإضافة إلى الحركات الوحدوية التي انتشرت في كافة دول أوروبا من إلمانيا، إلى إيطاليا، إلى فرنسا، وسويسرا، والنمسا، وروسيا، وإسبانيا... فكل هاتيك الدول كانت إمارات مجزّأة على غرار لبنان، ولما أدرك أبناءها الوعي الوطني، سعت إلى التوحّد، وأخذت تنضوي في أوطانٍ تجمع بينها تقاليد واحدة، وجغرافية واحدة، وتاريخ واحد، بقطع النظر عن الطائفية والعصبيات. حتى اللغة، لم تكن وحدها الدافع لاتحاد تلك المقاطعات كما هو الحال مع إلمانيا، وسويسرا، وبلجيكا، وروسيا، وسواها من الدول. وحده التاريخ المشترك، ووحدة العادات والتقاليد، والمصالح المشتركة، والعرق، يصنع الوحدات القومية.

من هنا كانت أهمية الدور الذي قام به المستنيرون اللبنانيون، من قادة الفكر، لتوحيد الرؤية الوطنية والأهداف. وقد اضطلع المهاجرون اللبنانيون بالدور الأساس والكبير، في تأسيس تلك الجمعيات المطالبة بالحرية والاستقلال.

## دور الجاليات اللبنانية في الحركة الاستقلالية

كان الدور الأبرز للجاليات اللبنانية المنتشرة في معظم دول العالم، في صنع القرار اللبناني، والدولي بما يختص بلبنان. وقد ساعد الاغتراب في جمع اللبنانيين، من مختلف الطوائف والمناطق، في جمعيات واحدة، فتوحّدت بذلك تطلّعاتهم، والأهداف الوطنية.

ففي أوروبا كان هناك أمثال شكري غانم، وخليل فارس، وخير الله خير الله، وعبّاس بجّاني، ويوسف الحويّك وسواهم. وفي

أميركا، كان نعوم مكرزل، وجبران خليل جبران، ومخائيل نعيمه، وأمين الريحاني والمعالفة، وغيرهم... كما في مصر، وهي المنبر العربي الأهم في تلك الفترة، باعتبارها طليعة البلدان العربية المستقلة، وحاضنة النهضة العربية كان للبنانيين الدور الأبرز، والقيادة المطلقة، في مختلف الميادين الثقافية. ويكفي أن نذكر فيها يوسف السودا، وأحمد الشدياق، ويعقوب صرّوف، وجرجي زيدان، ويوسف الأسير، وانطون الجميل، وفارس نمر، وداود بركات، وبشاره وحبيب تقلا...، ومعظم أصحاب الصحف، والمسارح، والمجلات، بل وكلّ رجال الفكر. هذا بالإضافة إلى كبار رجالات لبنان الذين ظلّوا في البلاد، كميشال شيحا، وشارل قرم، واليازجيين، والبساتنة، والمعالفة، والمحمصانيين، والارسلانيين، وآل العريسي، وطبّارة، والصلح، وسلام، وبيهم، والداعوق، وغيرهم من قادة البلاد والمتنوّرين، مسلمين ومسيحيين.

## التأثير الخارجي العربي والغربي

وإلى جانب القيادات المحلية، والمهجرية، كانت هناك دول وقيادات مؤثّرة في المنطقة. فهناك حركة، أو حزب «الاتحاد والترقّي»، و«تركيا الفتاة» العثمانيّين، وهناك تيار القومية العربية الذي كان يقوده شريف مكه حسين بن علي وابنه الأمير فيصل. كما كانت هناك دول الحلفاء المنتصرة، وفي مقدمها فرنسا وانكلترا، ولهما وجود على الأرض وفي مجالس التقرير، صاحبتا الكلمة الفصل في تقرير مستقبل البلاد وشكل نظامها وحدودها. كما لسوريا، وعبر الأجيال، باعتبارها الجارة الأقرب، ولرجالاتها دورٌ لا يمكن تجاهله



عند تقرير مصير المنطقة، ومن بينها لبنان. وعلى هذا الأساس نشطت الأحزاب والجمعيات السرية لرصد التحرّكات الدولية، وإيصال رأي المفكّرين اللبنانيين، وقادة الرأي إلى مجالس التقرير. وكانت باريس هي المحور الذي تدور فيه، وتصبّ، كل التحركات العالمية بشأن المنطقة.

# الفصل الثاني

## الأحزاب والجمعيّات السرّيّة

وبالإضافة إلى حزب، أو جمعية «الاتحاد والترقّي» المنبثقة عن حركة «تركيا الفتاة»، فقد عرفت بداية القرن العشرين، وسنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى، قيام عدة روابط، وجمعياتٍ، وأحزاب سرية أبرزها:[1]

### ١ - رابطة الإخاء العربي

أُنشئت في الآستانة سنة ١٩٠٨ من قبل الأمير محيي الدين الجزائري، وندره المطران وغيرهما. ولكنها لم تعمّر إذ حُلّت سنة ١٩٠٩.

---

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى كتاب الدكتور عصام خليفه «أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر» دار الجيل - بيروت سنة ١٩٨٥، والذي استعنّا به للحصول على الكثير من المعلومات المتعلّقة بهذا الموضوع، وخاصةً تقارير الأمن العام، ووزارة الخارجية الفرنسية.



### ٢ - المنتدى الأدبي

حلّت هذه الجمعية محلّ رابطة «الإخاء العربي» بعد حلّها. وضمّت عبد الكريم الخليل الذي أعدمه جمال باشا سنة ١٩١٦، وندره ونخله المطران وسواهم.

### ٣ - الجمعية القحطانية

أسسها في الآستانة خليل حماده سنة ١٩٠٥، مع عبد الكريم الخليل.

### ٤ - «جمعية العهد» أو «الجمعية الثورية»

قام بتأسيسها عزيز علي المصري سنة ١٩١٣. وكان معظم أعضائها من الضبّاط العرب.

### ٥ - الجمعية اللامركزية

ولما كان في مصر نحو ثلاثين ألفاً، من خيرة رجال الفكر والاقتصاد اللبنانيين، لذلك كان لهم الدور البارز في قيادة النهضة العربية، والحركات القومية والوطنية في البلاد. وقد أُنشئت في مصر عدة روابط تتعاطى الشأن السياسي، وتطالب بتحرير الوطن اللبناني الذي اضطُرّتْ الى تركه مرغمةً، بسبب اَلضغط على الحرّيات، وتدهور الحالة الاقتصادية والمعيشية. ومن هذه الجمعيات: «الجمعية اللامركزية» التي أسسها في مصر سنة ١٩١٠ الشيخ علي رضا وداود بركات واسكندر عمون. بالإضافة إلى «اللجنة العربية الفرنسية»، و«حزب الاتحاد اللبناني» و«الرابطة اللبنانية» التي كان لها فروع في باريس ومصر وسواها. وهذا بالإضافة إلى صحفييّ مصر اللبنانيين

الذين اضطلعوا بالدور الأهمّ في نشر الفكر العربي، وإيصال صرخة الاستقلال إلى الرأي العام المحلّي والدولي.

### ٦ - «جمعية الفتاة العربية»

أُنشئت في باريس سنة ١٩٠٩ من قبل محمد رستم حيدر، وتوفيق الناطور، وعبد الغني العريسي الذي استشهد سنة ١٩١٦، والأمير فيصل الأول بن حسين الذي تبرّع بألف ليرة ذهبية للجمعية يوم انخراطه فيها، والذي حمل لواء الدعوة للوحدة العربية، وتحرير الأقطار العربية كلّها. واتّصل بالحلفاء، ونال وعداً باستقلال البلاد السورية (لبنان وسوريا وفلسطين) تحت سلطته. ولكن هذه الدول لم تفِ بوعودها، كما سنفصّل ذلك فيما بعد. وكانت باريس المقرّ لأكثر الروابط السياسية التي تأسست في تلك الفترة، باعتبارها كانت تستقطب خيرة طلاّب العلم اللبنانيين، نظراً لدورها الفاعل في الشرق، لا سيما بالنسبة للحلفاء فيما بعد.

### ٧ - «جمعية العلم الأخضر»

تأسست سنة ١٩١٢، وضمّت أحمد عزّت الأعظمي، وعاصم بسيسو. وأصدرت مجلة «لسان العرب». ثم حلّت محلها «جمعية المنتدى الأدبي».

### ٨ - «جمعية الاصلاح»

كان مركزها في بيروت. وقد تم انشاؤها سنة ١٩١٣ من قبل كامل بك الصلح، ورضا بك الصلح، ومختار بيهم، وسليم سلام، وباترو طراد وأيوب ثابت اللّذين تولّيا رئاسة الجمهورية فيما بعد،



وجورج رزق الله، وأحمد طباره الذي أعدمه جمال باشا سنة ١٩١٦. وقد حلّها العثمانيون فأضربت جميع الصحف اللبنانية إحتجاجاً بكتابة أسمائها، وصدورها خاليةً من أي كتابة.

### ٩ - «مؤتمر باريس العربي»

ونظراً للدور البارز الذي اضطلع به هذا المؤتمر، لجهة توجيه الرأي العام المحلي والدولي، والتأثير في اتجاه القضية الشرقية، نتوسّع في شرح أعماله التي تمّت على الوجه التالي:

اجتمعت الجالية العربية في باريس في قاعة «الجمعية الجغرافية» في شارع جرمان بباريس. وحضر هذا الاجتماع مندوبون عن المهاجرين اللبنانيين والعرب في البلدان الاميركية. وقد شارك في هذا المؤتمر عوني عبد الهادي، محمد المحمصاني وعبد الغني العريسي اللذان أُعدما مع قافلة شهداء تلك الفترة، وجميل مردم الذي أصبح رئيساً لوزراء سوريا، وشارل دباس الذي صار رئيساً لجمهورية لبنان، وندره المطران، وشكري غانم شقيق الصحافي الكبير خليل غانم. كما حضر هذا المؤتمر عدد من ممثّلي الجمعيات الموجودة في لبنان ومصر وسواهما.

وقد وافقت السلطنة العثمانية على بعض مطالب هذا المؤتمر الذي عُقد في العام ١٩١٣، ومنها: اعتماد اللغة العربية لغةً رسمية في السلطنة، وتعيين ثلاثة وزراء عرب في الحكومة المركزية. وكان نصيب لبنان تعيين إثنين منهم: هما سليمان البستاني وإبراهيم ملحمه. كما طالب المؤتمر، ووافقت تركيا، على تعيين عشرين مندوباً يمثّلون الولايات في المجلس النيابي، وخمسة ولاة عرب، وغير ذلك من المطالب...

وظنّت تركيا أن تحقيق هذه المطالب يقضي على فكرة الاستقلال التي كان ينادي بها معظم هؤلاء. لكنهم استمرّوا في الضغط من أجل منح هذه الدول استقلالها، مما جعل القائد جمال باشا يتّهم القيّمين على هذا المؤتمر «بالعمل لتسليم لبنان وسوريا وفلسطين إلى إدارة أجنبية»، كما جاء في حيثيات الحكم على الشهداء.

وكانت تركيا قد أرسلت مدحت شكري بك ليمثّلها في هذا المؤتمر، ويشرح وجهة النظر العثمانية، ويقف على مطالب الحاضرين. ولما تسلّمت هذه المطالب، وفي رأسها إعلان استقلال هذه الدول، راحت تماطل في التنفيذ. وكان المطلوب كحدّ أدنى، إعلان «الاستقلال الاداري في الولايات على أساس لا مركزي»[1].

وكانت مقررات هذا المؤتمر السرّية تصل إلى الآستانة بواسطة عملاء للعثمانيين من بين الأعضاء المشاركين فيه، وفي مقدمهم «الأمير شكيب إرسلان، والشيخ أسعد الشقيري (والد أحمد الشقيري الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية)، والباشا محمد فوزي العظم، والباشا عبد الرحمن اليوسف...»[2].

وقد حضر هذا المؤتمر ٣٠٠ عضو. ومن الشخصيات اللبنانية التي حضرته إسكندر عمون وعبد الحميد الزهراوي، ممثلاً «حزب اللامركزية». كما حضره سليم سلام، وأحمد مختار بيهم، وخليل زينيه، والشيخ أحمد طباره، والدكتور أيوب ثابت عن «الجمعية الاصلاحية العمومية». كما حضرت وفود تمثّل المهاجرين وعلى رأسهم نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى النيويوركية، والذي

(١) مرجع سابق.
(٢) أوراق لبنانية - جزء ٢ صفحة ١٩٥.



اضطلع بدور بارز في المطالبة باستقلال لبنان الكامل. كما مثّل «الرابطة اللبنانية في باريس» الصحافي والمفكّر خير الله طنوس خير الله، وشكري غانم، وسواهما[1]. كما حضره عبد الكريم الخليل ممثّلاً جالية فلسطين. وكان يحقّ لممثّلي الجمعيات الاقتراع فقط.

وقد انتُخب عبد الحميد الزهراوي رئيساً لهذا المؤتمر. وكان سيف الدين الخطيب، ورفيق رزق الله سلوم الذي اعتُقل فيما بعد، وحوكم في عاليه ولم يُشنق، من ممثّلي «المنتدى الأدبي». وكان فائز الخوري، شقيق فارس الخوري رئيس وزراء سوريا، السكرتير العام للمؤتمر. وقد ابتدأت جلساته في ٨ حزيران سنة ١٩١٣، ثم عُقدت الجلسة الثانية في ٢٠ حزيران، والثالثة في ٢١ حزيران. وفي ٢٣ حزيران صدر عنه أربعة عشر قرارًا، ذكرنا أبرزها، وما حقّقه منها العثمانيون.

## ١٠ - «اللجنة المركزية السورية في باريس»

**Le Comité Central de Paris**

ولما كانت فرنسا، ومنذ القدم، تطمع بمركز مميّز لها في لبنان، من خلال علاقاتها بالمسيحيين فيه، ومن خلال امتيازاتها التقليدية، ومصالحها الاقتصادية، لذلك سعت لتأسيس رابطة تدور في فلكها، وتطرح أهدافها، وتحاول استقطاب الرأي العام اللبناني. وهذا ما دفعها لتأسيس حزب باسم «اللجنة المركزية السورية». وقد عهدت إلى شكري غانم في رئاسته. وكانت أبرز أهدافه: ضم المهاجرين

(١) وقد انشقّ شكري غانم عن خير الله خير الله وأنشأ «اللجنة المركزية السورية» بوحي من الخارجية الفرنسية.

اللبنانيين والسوريين إلى «فرق الشرق» العسكرية، لمساندة الحلفاء، والمطالبة بالانتداب الفرنسي، من قبل السوريين والمهاجرين في أميركا خاصةً، والعمل على توحيد الصفوف بين جميع الطوائف، والعاملين فيها، خارج البلاد، من أجل القضايا الوطنية. و«اقتراح الوحدة السورية الفدرالية، واستقلال المقاطعات التابعة لها: كلبنان، وفلسطين، وكيليكيا، داخلياً، والوصاية الفرنسية على كامل هذه المقاطعات»[1].

## ١١ ـ «اللجنة اللبنانية الفرنسية في مصر»

وكانت لهذه الجمعية أهداف اللجنة السورية السابقة نفسها. وهي تضم نحو ٧٠٠ عضو، ورئيسها عبد الله صفير باشا، وأمين صندوقها شكور باشا، وسكرتيرها العام ألفونس زينيه وأعضاؤها: إدغار طويل الذي أصبح سكرتيراً عاماً، وحقيّ بك العظم، والفرد ليان، ونعمه غانم، وهنري مشاقه.

وأبرز أهدافها:

١ ـ تحرير سوريا واستقلالها تحت رعاية فرنسا.

٢ ـ استقلال مقاطعاتها وولاياتها الاداري.

٣ ـ تأسيس نظام «لا مركزي فيها».

٤ ـ تأليف عدة لجان للجمعية في مصر (كالاسكندرية ـ القاهرة، طنطا، المنصوره، بور سعيد...).

(١) الدكتور عصام خليفة ـ مرجع سابق ـ صفحة ٧٤ نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

AF. v.6 158-160-185. 17 Déc. 1918.



## ١٢ ـ «رابطة سوريا ـ جبل لبنان للتحرير» في نيويورك

وقد ترأسّ هذه الجمعية النيويوركية الدكتور أيوب ثابت، ونعمة تادروس كان أمين صندوقها، وأمين الريحاني نائب الرئيس، وجبران خليل جبران سكرتير المراسلات الانكليزية، ومخايل نعيمه سكرتير المراسلات العربية، ونعيم دياب رئيس تحرير «الدايلي ميرور»، وشكري بخّاش رئيس تحرير مجلة «الفتاة»، وعبد المسيح حداد رئيس تحرير مجلة «السائح»، ونسيب عريضه رئيس تحرير مجلة «الفنون»، وإيليا أبو ماضي مساعد تحرير «الدايلي ميرور» أعضاء.

وكانت هذه الرابطة تطالب «بوحدة سوريا القومية الطبيعية، واستقلالها تحت الحماية الفرنسية، الأم التاريخية لهذه البلاد»[1]. وقد أرسلت عدة مذكرات إلى الرؤساء لويد جورج الانكليزي، والرئيس الاميركي ولسن، والسفير الفرنسي في نيويورك، وإلى وزارة الخارجية الفرنسية، مطالبةً بتحقيق الأهداف المنوّه عنها. وقد طالب القنصل الفرنسي في نيويورك «ليبرت» بوضع عشرين ألف فرنك بتصرّفها باعتبارها تخدم المصالح الفرنسية[2].

## ١٣ ـ «اللجنة الوطنية السورية ـ اللبنانية» في البرازيل

وقد أرسلت هذه اللجنة برقيةً تناشد فيها «اللجنة المركزية السورية» في باريس أن تطالب مؤتمر الصلح الباريسي لكي يعهد إلى فرنسا تنظيم سوريا الموحّدة، وذات النظام الفدرالي الذي يجمع سوريا ولبنان. ويعلّق الدكتور عصام خليفه في كتابه «أبحاث في

(١) د. عصام خليفه ـ مرجع سابق صفحة ٨٤ وما بعدها.

(٢) مرجع سابق نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ١٣ صفحة ٢٦٧.

تاريخ لبنان المعاصر» صفحة ٨٧ على مضمون هذه البرقية الذي يعتبره من وضع انطون سعاده رئيس الحزب القومي السوري، لأنه لم يكن بعيداً عن الروابط المشابهة لهذه الرابطة، باعتبار أن والده خليل فارس قد تزعّم بعض تلك الجمعيات في أميركا الجنوبية، وكان برفقة إبنه أنطون. وهذا ما جعله يتأثّر بهذه الافكار التوحيدية السورية.

### ١٤ - فروع «اللجنة اللبنانية السورية» و«اللجنة المركزية السورية»، و«رابطة سوريا جبل لبنان للتحرير» و«اللجنة الوطنية السورية في البرازيل»، والتي تدور في الفلك السوري، في القارة الاميركية:

لقد تأسّست هذه الروابط التي تدور في فلك الأهداف السورية الطامعة بالوحدة، في مكسيكو، وفالباريزو، وبيونّس ايرس، وكوناكري، وسنتياغو، ولوس انجلوس، وسواها.

وكلّها كانت تؤيّد الوصاية الفرنسية على سوريا، وبعضها كان يطالب باستقلال لبنان، إنما الأكثرية الساحقة منها كانت تطالب بضمّه إلى سوريا.

وكان أبرز أعضاء هذه اللجان والفروع، شكري غانم الذي عارض أن يتكلّم الأمير فيصل في مؤتمر الصلح الذي عُقد سنة ١٩١٨ في باريس لدراسة مستقبل البلاد السورية، «باسم كل الناطقين باللغة العربية، وباسم سوريا». وقال: «إن ضمّ سوريا إلى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الأرض التي أنبتت هذا الشعب، وعلى تاريخه»[١]. كما كان شكري غانم يعارض

(١) نور الدين نور الدين «الصراع الدولي في الشرق الأوسط» دار النهار سنة ١٩٧١ صفحة ١٠٤.



توجّهات البطريرك الحويك «المطالبة باستقلال لبنان»، وقد تمنّى عليه أن «يوسّع قضيته إلى كل سوريا». كما هاجم موقف «الرابطة اللبنانية في باريس» التي يشرف عليها خيرالله خيرالله، و«الاتحاد اللبناني» الذي يرأسه يوسف السودا، «لمطالبتها بالاستقلال اللبناني»[١].

### ١٥ - «حزب الاتحاد السوري»

لقد سعى هذا الحزب من أجل تحقيق وحدة سوريا على أساس اللامركزية، وصولاً إلى الاستقلال التام. ومؤسسوه: ميشال بك لطف الله، رئيس النادي السوري في القاهرة. وادوار كرم، ويعقوب صرّوف، وفارس نمر، أصحاب مجلّتي «المقطّم» و«المقتطف». وسليم تقي الدين، ومحبّ الدين الخطيب مدير «القبلة» الصادرة في مكّه، وفؤاد الخطيب مندوب الحجاز الدبلوماسي في القاهرة. والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة «المنار»[٢].

وكان هذا الحزب، حسب رأي الخارجية الفرنسية، ذا ميول عربية، تقول بقيام «سوريا الكبرى»، وكان مدعوماً من الانكليز. و«لكنه تراجع لسبب عدم تأييد المسيحيين لأهدافه، وتسلّم المسلمين لقيادته. وأبرز أعضائه: خليل خياط - الدكتور مشاقه - مختار الصلح، خالد الحكيم، حسن بك خالد، شبلي شميّل، سليم سركيس، نقولا حداد... وقد دعا للامركزية الحكم المدني باستثناء الأحوال الشخصية، وتقسيم البلاد إلى ولايات مستقلة بينها لبنان

(١) د. خليفة نقلاً عن إرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ١٥ صفحة ٤٠ - ٤٤ في ١٨ آب سنة ١٩١٩، وفي رسالة إلى الوزير بيشون في ١٨ شباط سنة ١٩١٩.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ٧ صفحة ١٩٩ - تاريخ ٩ كانون الثاني ١٩١٩.

بحدوده الطبيعية وامتيازاته القديمة. . . وتشكيل حكومة واحدة مركزها دمشق صيفاً، وبيروت شتاءً. . .»[1].

## ١٦ - «جمعية سوريا الجديدة الوطنية» والوصاية الاميركية

وقد تأسست أيضاً بعض الجمعيات التي تطالب بالوصاية الاميركية، ومنها جمعية «سوريا الجديدة الوطنية» وقد هدفت إلى:

١ - إلغاء الحكم التركي.

٢ - جعل سوريا بلاداً حرةً ومستقلّةً دون تمييز طائفي، ضمن حدود تمتدّ من جبال طوروس إلى صحراء سيناء، ومن بحر الروم إلى الصحراء والفرات.

٣ - تتألف هذه البلاد من مقاطعات لكل منها هيئة حكم إدارية خاصة بها.

٤ - وضع هذه البلاد تحت الوصاية الاميركية بصورة مرحلية.

رئيسها الدكتور جورج خيرالله. وقد تأسست في ١٢ شباط سنة ١٩١٩. وكاتم أسرارها العام المؤرّخ المعروف الدكتور فيليب حتّي[2].

### المطالبة بالوصاية الاميركية

وقد ارتفعت عدة أصوات تطالب بالوصاية الاميركية، وكان أبرزها في مصر صوت نمر باشا صاحب «المقطّم». وقد أرسل برقيةً بهذا الخصوص إلى مؤتمر الصلح في باريس. وداود مجاعص من

(١) مرجع سابق صفحة ١٦٧ - ١٦٩.

(٢) مرجع سابق مجلد ٩ صفحة ٢٠٥.



لاباز، وقد حضر مؤتمر الصلح، إلى جانب السيد باش رئيس الرابطة السورية في سنتياغو، والدكتور خليل سعاده (والد انطون سعاده) ممثلاً الأرجنتين والبيرو، والسيد أبي خاطر ممثل بوليفيا. . . وسواهم من ممثلي الولايات المتحدة وأميركا الجنوبية.

### الجمعيات المطالبة باستقلال لبنان عن سوريا

أما الجمعيات التي كانت تطالب باستقلال لبنان عن سوريا، ولكن مع بقائه تحت الانتداب الفرنسي أو بدونه، فكانت:

## ١٧ - «حزب الاتحاد اللبناني» في مصر

وقد اضطلع هذا الحزب بالدور الأكبر في طرح «القضية اللبنانية»، باعتبار هذه البلاد، كياناً مستقلاً. و«في ٧ تموز ١٩١٨ أرسل التحرّي الفرنسي تقريراً مفصّلاً عن المهرجان الذي عقده هذا الحزب في القاهره، وتكلّم فيه: أوغست باشا أديب، وعباس أفندي المصري، ويوسف السودا (رئيس الحزب)، وأنطون الجميّل سكرتير الحزب»[1].

كما أرسل الضابط الفرنسي كولوندر Coulondre «تقريراً يؤكّد أن هذا الحزب يطالب بالاستقلال التام للبنان تحت حماية الدول الكبرى بما فيها إلمانيا والنمسا»[2].

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٩١٩ أرسل القنصل الفرنسي في

(١) د. عصام خليفه - نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ١٢ صفحة ١٤٨ تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩١٩ ومجلد ١ صفحة ١٨٢.

(٢) مرجع سابق صفحة ٢٥٢ - ٢٥٦.

الاسكندرية تقريراً أتهم فيه هذا الحزب بالنزعة الاستقلالية، وبالتعاون مع حزب الشريف حسين، وتعيين ثلاثة من أعضائه مستشارين للأمير فيصل، وهم أديب باشا رئيس الحزب، وشقير باشا، واسكندر عمون الذي كان على خلاف مع أخيه داود، وقد اختير ليمثل الحزب في مؤتمر الصلح، كما سيُعيّن وزيراً للدولة في الحكومة الفيصلية»[١].

كما أرسل Lefèvre وزير فرنسا المفوّض في مصر إلى وزير خارجية فرنسا بيشون Pichon أنه «يوجد في مصر حالياً ثلاث جمعيات سورية. ولكن باتجاهات مختلفة، وهي تقوم بنشاطاتها في القاهرة والاسكندرية بشكل رئيس. إحداها مؤيدة لفرنسا وتدعى «اللجنة اللبنانية السورية»، وتيار حزب «الاتحاد اللبناني»، وانه ذو اتجاهات قومية، مدعوم من السلطات الانجليزية، وهو غير محب لفرنسا، وجريدة «الأمة» هي الناطقة الرسمية باسمه. ويضم مجموعة من الاداريين المصريين تهاجم التدخّل الفرنسي، وتمجّد السياسة الانكليزية في الشرق. ولا يمكن أن يؤثّر في المسألة اللبنانية لأن مجلس الإدارة (اللبناني) قرر إرسال وفد إلى فرنسا...» - نقلاً عن أرشيف الخارجية الفرنسية مجلد ٧ صفحة ١٥٩ - ١٦٢، ومن كتاب الدكتور عصام خليفه المنوّه عنه سابقاً.

أما أعضاء حزب «الاتحاد اللبناني» في مصر فكانوا: يوسف السودا رئيساً، وسمعان سابا أميناً للصندوق، وتوفيق طنوس سكرتيراً عاماً، واسكندر نعمه، والدكتور نجيب فرح، وخليل صافي، ويوسف قشمه، وسليم العظم، وعباس المصري، واسكندر الحاج بطرس، وتوفيق اسكندر ونصر الله عساف: مستشارين.

(١) مرجع سابق مجلد ٧ - صفحة ٣٤ ومجلد ١٤ صفحة ٢٠.



ومن كبار اللبنانيين الذين اضطلعوا بدور بارز في إيصال القضية اللبنانية إلى المحافل الدولية كمطلب شعبي جامع، من أجل استقلال هذه البلاد، وبوحيٍ وطنّي مخلصٍ ومستقل، هو الأستاذ والمحامي الكبير يوسف السودا. وربما كان هذا الرجل وحزبه، إلى جانب جمعية «الرابطة اللبنانية في باريس» هما الهيئتان والحزبان الوحيدان المستقلاّن، واللذان لم يكن وراءهما أي دولة أجنبية.

ولم يقتصر نشاط هذا الحزب على مصر وحدها، بل تعدّاها إلى بلدان الاغتراب، ولبنان. وقد جرى التنسيق بين رئيسه، ورئيس الرابطة اللبنانية في باريس، للمطالبة بالاستقلال الكامل، وبارجاع الحدود التاريخية أو «الحدود الطبيعية» إلى الدولة اللبنانية. والمقصود بهذا التعبير ضم طرابلس وعكار وصيدا وبقية الجنوب والبقاع، إلى منطقة «جبل لبنان»، وجعلها حدود الدولة اللبنانية المستقلّة المطلوبة، باعتبارها الحدود التاريخية للوطن اللبناني، والحدود الطبيعية التي تنحصر بين سلسلتي جبال وبحر من الشرق والغرب، وبالنهر الكبير الشمالي، وجبال الجليل الجنوبية.

وقد جاء في إحدى برقيات هذا الحزب إلى «الرابطة اللبنانية في باريس» في ١٤ شباط سنة ١٩١٩، تشجيعاً للرابطة كي تطالب باستقلال لبنان، «إستقلالاً تاماً»: أن حزب الاتحاد اللبناني في مصر هو «قبل كل الجمعيات، جاهر بطلب استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول وعصبة الأمم.... وقد حاول الخصوم بوجه خاص، تسويد صحيفتنا في عين فرنسا... وطالما قلنا لهم: نحبّ فرنسا أكثر مما تحبّونها، ولكننا نحبّ وطننا أكثر منها، وهي لا تريدنا إلا كذلك.... (وفي هذا الكلام تلميح إلى موقف شكري غانم و«الرابطة السورية في

باريس» التي يتزعّمها، والمدعومة من فرنسا).... بارك الله فيكم، وأخذ بيدكم في عملكم الشريف»[1].

كما رفع هذا الحزب إلى السيد كليمنصو، رئيس وزراء فرنسا برقيةً جاء فيها: «إن الاتحاد اللبناني الذي تأسس سنة ١٩٠٩ للذود عن مصالح لبنان، والذي ينتسب إليه الكثيرون في مصر، وأميركا، ولبنان، قد رفع خلال كانون الثاني سنة ١٩١٨ برنامجه الذي نوجزه بصيغة «استقلال لبنان في حدوده الطبيعية، بضمانة الدول الكبرى... ومن الضروري تمكين المغتربين اللبنانيين المقيمين العودة إلى بلادهم، ليحاوروا مواطنيهم، ويُدلوا بأصواتهم في الاقتراع الشعبي، بعيداً عن أي ضغط أو إكراه... وقيام جمعية تأسيسية من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ عضو يُنتَخبون بالاقتراع الصحيح، وهو يؤدي إلى اتخاذ قرار عن إرادة الشعب....». وقد وقّع هذه البرقية «يوسف السودا، رئيس الحزب. وهي ترجمة الدكتور جورج كرم. وقد نُشرت في حوليات سنة ١٩٨١»[2].

### ١٨ ـ «جمعية النهضة اللبنانية» النيويوركية

أُنشئت سنة ١٩١١ بدعوة من المناضل اللبناني الكبير في سبيل الاستقلال، نعيم مكرزل. وقد حضرها «التجار، والأدباء، والوجهاء، اللبنانيون» في نيويورك. وبالمناسبة نذكر أن الترويكا الوطنية المطالبة باستقلال لبنان التام، كان قوامها يوسف السودا في مصر، وخير الله خير الله في باريس، ونعوم مكرزل في نيويورك.

---

(١) مرجع سابق، مجلد ٧، صفحة ٢١٦.

(٢) «حوليات» سنة ١٩٨١، صفحة ١٣١ ـ ١٣٢.



وكانت أهداف هذه الجمعية تتلخّص بما يلي:

١ ـ المحافظة على استقلال لبنان وامتيازاته.

٢ ـ توحيد البلاد، وارجاعها إلى الحدود الطبيعية والتاريخية.

٣ ـ فتح مرفأ جديد، والقيام بالمشاريع العمرانية.

ولما كانت فرنسا بحاجة إلى صوتٍ جريء في المحافل الدولية يطالب باستقلال لبنان عن جيرانه، وتوسيع حدوده، ووضعه تحت الاشراف الفرنسي، فقد اتصلت بالأستاذ نعوم مكرزل، صاحب جريدة «الهدى» النيويوركية الواسعة الانتشار، في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨، بواسطة القنصل الفرنسي «ليبرت» في نيويورك. كما اجتمع هذا القنصل باللبنانيين السادة: أيوب تابت، أمين الريحاني. ووصف نعوم مكرزل «بالشخصية الهامة، والصديقة لفرنسا». وأوصى بوجوب الاهتمام به لدى وصوله إلى باريس، باعتباره وأيوب تابت، «يؤيدان وضع سوريا تحت الوصاية الفرنسية»[1].

وقد بعث نعوم مكرزل أكثر من برقية إلى «مؤتمر باريس، أو «مؤتمر الصلح» حيث كانت تدرس قضايا الشرق من قبل الحلفاء، مطالباً فيها بإعادة لبنان إلى حدوده الطبيعية والتاريخية، وتأمين حكومة دستورية مستقلة تحت وصاية فرنسا وحدها... وعلم لبنان يكون علم فرنسا، مع وجود الأرزة في الجزء الأبيض منه... كما طالب بتطبيق الخريطة التي وضعها الجنرال دوتبول أثناء وجوده في لبنان على رأس الحملة العسكرية ١٨٦٠ ـ ١٨٦١. وبتشكيل حكومة لبنانية مستقلة بمساعدة فرنسا وحدها.

---

(١) د. عصام خليفة ـ نقلاً عن أرشيف الخارجية الفرنسية مجلد ١٠، صفحة ٩ تاريخ ١٧ شباط سنة ١٩١٩.

وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أن تحرّكات مكرزل، ومطالبه، كان يُستشفّ منها التأثير الفرنسي المباشر، وإيحاء السفراء، والقناصل الفرنسيين، باعتبار هذه المطالبة كانت نفس الطروحات الفرنسية. وذلك بخلاف موقف خير الله خير الله، ورابطته اللبنانية في باريس الداعية لاستقلال تامٍ وناجز، عن كل الدول، بما فيها فرنسا. وهو الموقف الذي تفرّد به دون سائر مواقف الممثّلين اللبنانيين الرسميين، وغير الرسميين. وحتى موقف يوسف السودا، والبطريرك الحويك، وسواهما من أقطاب القيادات المسيحية المطالبة بالاستقلال اللبناني آنذاك، لم تطرح هذه القضية بالشكل الذي طرحه فيه خير الله خير الله، باعتبارها قضية شعب عانى من الحكم الأجنبي بما فيه الكفاية، وهو مؤهّل ليحكم نفسه بنفسه، وضمن حدوده الطبيعية والتاريخية، بمعزلٍ عن كل الدول. وهذا ما أثار عليه الأتراك الفرنسيين على السواء، فأصدر العثمانيون قراراً بإعدامه، والفرنسيون لاحقوه، وربما كانوا وراء مصرعه في تونس فيما بعد.

وقد قابل نعوم مكرزل المفوّض السامي في لبنان جورج بيكو، والمارشال جوفر، والمسيو بوانكاره رئيس الجمهورية الفرنسية الذي قدّم إليه الراية اللبنانية التي اقترحتها جمعية «النهضة اللبنانية» النيويوركية. وقال له الرئيس الفرنسي في ٢٢ حزيران سنة ١٩١٩: «قل لهم (اللبنانيين) إن فرنسا لا يمكن أن تتخلّى عن مساعدة لبنان الذي تحبّه. وهي التي خلّصته، وسوف تخلّصه، وتحرره، وتنيله استقلاله....» كما قابل بصحبة البطريرك الحويك مسيو بيشون Pichon وزير خارجية فرنسا[1].

(١) جريدة «الهدى» سنة ١٩٦٨ حول «تاريخ الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا»، صفحة ٤٠ ـ ٤٥.



كما قدّم مكرزل أيضاً هدايا قيّمة للجنرال جوفر أثناء زيارته لأميركا، وهي عبارة عن صندوق من الفضة، وفيه ألف دولار ذهباً، وكرباج من الفضة الخالصة مصنوع في لبنان، مع مبلغ لإعانة أيتام الفرنسيين». كما قدّم الهدايا إلى الجنرال فوش، والكاردينال مرسيه البلجيكي، لتصرف على أيتام البلجيك[1].

وقد طلبت إليه الخارجية الفرنسية أن يتصل بالبطريرك الحويك ليضغط على شقيقه يوسف الحويك الموجود في باريس، وهو من دعاة التيار الاستقلالي الذي كان يتزعّمه خير الله خير الله، ليخفّف من تحرّكاته[2].

ورغم تحرّكات مكرزل الوطنية، ودور الجمعية التي كان يرئسها، وتضحياته المادية وهداياه، ورغم «شخصيته الهامة، والقول للدكتور عصام خليفه، كما وصفها المسؤولون الفرنسيون، والتي أهّلته أن يلعب دوراً بارزاً في مرحلة هامة من تاريخ لبنان المعاصر»، إن شخصيات كيوسف السودا، وخير الله خير الله، وانطون الجميّل، وعباس المصري... وغيرهم، تبدو لنا أكثر نصاعةً، وأعمق استقلالاً، وأشد صلابةً في وجه الأجنبي، أياً كان هذا الأجنبي»[3].

## ١٩ ـ «الرابطة اللبنانية في باريس»

**Le Comité Libanais de Paris**

وإلى جانب حزب «الاتحاد اللبناني» الذي تأسس في مصر،

(١) مرجع سابق، صفحة ٤٦.

(٢) د. خليفة نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ١٣ صفحة ١١٢.

(٣) مرجع سابق، صفحة ١١٥ ـ ١١٦.

بقيادة يوسف السودا، وجمعية «النهضة اللبنانية» التي أسسها نعوم مكرزل في نيويورك، أُنشئت «الرابطة اللبنانية في باريس» في أول حزيران سنة ١٩١٢ بعدما «لبّى بعض اللبنانيين المقيمين في باريس دعوةً موجهةً إليهم من خيرالله خيرالله... وهو من جران في منطقة البترون، ودون مبالغة، والكلام للدكتور عصام خليفه، هو أبرز الوجوه التي طرحت القضية اللبنانية باستقلالية وعمق. وهو يُعتبر مهندس فكرة التعايش بين «المسألة اللبنانية» في بعدها الاستقلالي الديمقراطي، و «القضية العربية» كما هي، قضية تحرّر من الهيمنة الخارجية والتخلّف الداخلي». وقد انتخب في ذلك الاجتماع شكري غانم رئيساً، وخيرالله خيرالله أميناً للسر. وقدّم خيرالله مذكّرةً إلى الحاضرين عن الوضع اللبناني، وحدّد أفكاره حول كيفية التحرّك المقبل، وتمّ التوافق عليها، وابتدأ العمل لاستقلال لبنان، وتوسيع حدوده. وكانت أولى خطوات هذا التحرّك الاتصال بالقيادات اللبنانية في مصر، ولا سيما أركان «حزب الاتحاد اللبناني» الذي أرسل إلى المجتمعين باسمه، رئيسه، يوسف السودا، برقية دعمٍ وتشجيع، بعدما قرأ أهداف هذه الرابطة في جريدة Le Temps الفرنسية التي يشرف على تحرير قسمها الشرقي خيرالله خيرالله.

ومن ثم انتقل خيرالله خيرالله إلى لبنان محاولاً اقناع قياداته الإسلامية بهذا التوجّه، وعاد ليقول في كتابٍ له بعنوان «البلدان العربية المحررة: لبنان، سوريا، فلسطين....»، ما ترجمته عن الفرنسية «يعيبون عليّ مطالبتي باستقلال بلادي (عن سوريا)، مع العلم أنه متى سعى كل منّا لتحرير بلده فيأتي الاستقلال للجميع».

وأخذ يتجوّل في المناطق اللبنانية كافةً عارضاً أهداف رابطته



وتحركاتها، مؤسساً لها الفروع في الوطن، وجامعاً العرائض المطالبة بالاستقلال، وإعادة المناطق المفصولة عن جبل لبنان إلى البلاد، ضمن الحدود الطبيعية والتاريخية لها. وعاد ليحمل إلى «مؤتمر الصلح» المنعقد بباريس سنة ١٩١٨ عرائض تحمل تواقيع ١٣٠٠ لبناني، و١١٣ شيخ صلح، و١٧ مديرية. وتطالب بإعادة لبنان إلى حدوده الطبيعية، ومنحه الاستقلال التام[١].

وراح خيرالله يلقي المحاضرات حول «المسألة اللبنانية» في الندوة النيابية الفرنسية، وفي الجامعات، ويرسل المذكرات إلى الهيئات الدولية، من «مؤتمر الصلح» الباريسي، إلى «عصبة الأمم». ويقوم بمقابلة المسؤولين الفرنسيين لهذا الغرض، ويدّبج المقالات في الصحف الفرنسية، وينسّق مواقفه مع بقية الروابط اللبنانية في أنحاء العالم، ولا سيما مع صديقه رئيس الاتحاد اللبناني في مصر، المحامي يوسف السودا. ثم نشر كتاباً بعنوان «المسألة اللبنانية». وعندها أصبح خيرالله خيرالله كما يشير إلى ذلك الأستاذ توفيق توما «بطلاً من أبطال الاستقلال»[٢]. والشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية اللبنانية، في مذكّراته، يقول بهذا المعنى: أن «خيرالله خيرالله هو الذي فتح لنا طريق الاستقلال»[٣].

وأخذ الأمن العام الفرنسي يلاحق «الرابطة اللبنانية في باريس» ونشاط أفرادها، ويحصي خطواتهم وأنفاسهم. وقد جاء في أحد تقاريره أن هذه الرابطة تضمّ السادة: خيرالله خيرالله، عبّاس

---

(١) خيرالله طنوس خيرالله في كتابه «Les Régions Arabes libérées..» Ed. le roux p. 66 - 67. Paris 1919.

(٢) توفيق توما، حول «الموارنة» ـ «منشورات الجامعة اللبنانية» ١٩٧٢ صفحة ٦٨٧.

(٣) سمير خيرالله ـ في مقال له في نشرة معاد سنة ١٩٨٤ ص ١٦٥.

بجّاني، وسيزار باسيم، وحبيب زغبي، وهـ. هيكل، والياس منسّى، وأنطون زوين، وفارس حنا، والياس عاد، وسعد نجيم، وجوزف حويك (النحات يوسف الحويك ابن شقيق البطريرك الحويك)، وميكال أبو حمد، وفرح فرح، وقزّي، وهيكل، والمونسنيور فارس (عمانوئيل - من صورات في بلاد البترون)، ونسيب نجيم، وجوزف فرح. ويبدو أن رئيس اللجنة كان عباس بجاني (بعدما أنشأ شكري غانم بدعمٍ من الفرنسيين «اللجنة المركزية السورية»)، وسكرتيرها العام هـ. هيكل. أما خيرالله خيرالله، فهو الموجّه الفكري للجنة التي أتهمها الأمن العام الفرنسي «بمعارضة التحرّك الفرنسي في سوريا»[1].

وفي إحدى مذكراتها إلى «مؤتمر الصلح» طالبت هذه الرابطة بإيصال برنامجها إلى الدول الكبرى (وهو يُختصر بإرجاع لبنان إلى حدوده الطبيعية، ومنحه الاستقلال). ومعارضة توجّهات مجلس إدارة لبنان التي يحملها رئيسه داود عمون. والطلب إلى المؤتمر أن يستمع إلى رأي الرابطة، وتكليف خيرالله خيرالله بتمثيلها في هذا المؤتمر. لا سيما بعدما استمع المؤتمر إلى «مندوب الحجاز» الأمير فيصل ليتحدّث عن لبنان. كما استمع إلى شكري غانم رئيس اللجنة المركزية السورية الذي «يحمل الجنسية الفرنسية»، كما قالت مذكرة الرابطة، «ويمثّل وجهة النظر الفرنسية». كما سمع المؤتمر كلمة السيد بلسّ، مدير الجامعة الأميركية في بيروت بصفة شاهد حيادي «نقدّر قيمته الأخلاقية العالية». وسيزمع المؤتمر أن يستمع للوفد المرسل من قبل مجلس الإدارة اللبناني، «وهو الذي يمثّل أيضاً

(١) د. خليفة نقلاً عن أرشيف الخارجية الفرنسية مجلد ٩، صفحة ١٢٨ مرجع سابق صفحة ١١٦.



وجهة النظر الفرنسية»... وتتابع مذكرة الرابطة اللبنانية في باريس: «أليس من الانصاف أن يُفسح المجال اللبناني أمام المؤتمر لعرض وجهة النظر الوطنية في المسألة اللبنانية؟..». وكانت هذه المذكرة موقّعة من الرئيس عباس بجاني والسكرتير هـ. هيكل.

وقد أزعج هذا التحرّك الدوائر الخارجية والأمنية الفرنسية في لبنان، وفي فرنسا، باعتباره يرفض الهيمنة الفرنسية، فوضع خيرالله ورفاقه، أعضاء الرابطة على اللائحة السوداء. حتى أن بعض هذه التقارير التي كان يرفعها تباعاً رجال الأمن عنهم قالت بالحرف: «يجب القضاء على جرثومة الفساد.... إنه من الواجب منذ الآن أخذ الحيطة لأنه من الجوهري تحديد المدى الذي يمكن أن نصل إليه لتفهّم هذا السوري (خيرالله): إن صبرنا له حدود. ومن البديهي أن يعلم أنه إذا كان في بريطانيا واتخذ موقفاً سياسياً معارضاً لمصالحها، ولقضيتها في الخارج، فإنه يُطرَد خارجاً دون تردّد. ولكنّا لسنا هنا في انكلترا. باريس في ١٤ شباط سنة ١٩١٩ السيد وايت Wiet»[1].

وفيما كانت هذه الأعين مبثوثةً على أعضاءالرابطة في باريس، كانت تصل أخبار المظاهرات، والعرائض، التي يرسلها القناصل الفرنسيون نقلاً عن مدراء النواحي اللبنانية، ولا سيما في منطقتي جبيل، والبترون مسقط رأس خيرالله، والتي تقول: «إن المدراء أفادونا أن الأهالي تجمهروا بمراكز النواحي، ونادوا بطلب استقلال لبنان التام، وإعادة أراضيه المسلوخة، وعدم دمجه بسواه. وتؤيد قرار مجلس الإدارة الكبير الصادر مؤخراً بهذا الشأن»[2].

(١) د. خليفة، مرجع سابق، صفحة ١١٧ - ١١٨.

(٢) أرشيف الخارجية الفرنسية، مجلد ١٣، صفحة ١٥٦.

وهذا نموذج من البرقيات التي أبلغها قائمقام البترون **إبرهيم** أبو سمرا غانم إلى المفوّض السامي لينقلها بدوره إلى وزارة **الخارجية** الفرنسية، وتقول: «جمهور غفير، وأوفر عدداً من الذين **تجمهروا** أول أمس، أقام مظاهراتٍ عظيمةً طالباً استقلال لبنان الكبير **غير** مندمج بسواه». والتاريخ ٢٥ آذار سنة ١٩١٩ [١].

وفي خطاب له في مرفأ بيروت، أمام جمهورٍ غفير من المواطنين، قال الأمير فيصل، صديق خيرالله خيرالله الذي كان همزة الوصل بينه وبين المسؤولين الفرنسيين: «لا حاجة للشرق إلى سفيرٍ في الغرب ما دام خيرالله مقيماً في باريس». وقد أدّت مواقف خيرالله الوطنية، والتي نوّه بها معظم المؤرخين، وفي مقدمهم الرئيس بشارة الخوري، في مذكراتهم ومؤلفاتهم، إلى قيام العثمانيين ضدّه، وإصدارهم قراراً بإعدامه، بموجب القرار ٢٤٢/١ الصادر عن ديوان الحرب العُرفي بتاريخ ١٩ آذار سنة ١٩١٦ بتهمة العمل ضد المصلحة الإسلامية الشاهانية. وكُلّف قومندان البُلك م. نجيب معلوف بموجب المذكرة رقم ١٦٢ باعتقاله [٢]. ولكنه كان قد أصبح في باريس لما أبلغ القومندان المذكور أنسباء خيرالله بهذا الحكم. وقد علّق من هناك على حكم العثمانيين عليه بالإعدام، في إحدى مقالاته بجريدة الطان Le Temps الباريسية الواسعة الانتشار، والتي كان يرأس تحرير قسمها الشرقي بقوله: «لقد حكمتم عليّ بالإعدام، وأنا أحكم على دولتكم بالزوال».

ولم يكن الفرنسيون أرحم من العثمانيين، ولا أرأف به، إذ

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، مجلد ١٣ صفحة ١٤٣ - ١٤٤ مرجع سابق صفحة ١٢٠.

(٢) أوراق لبنانية جزء أول صفحة ٤٠٨.



بعد ما بثّوا أعين رجال الأمن عليه، وأحصوا خطواته واعتبروه، كما أشرنا آنفاً، «جرثومة فساد»، وهددوه مراراً بالطرد من فرنسا، عادوا فلاحقوه إلى تونس، حيث كان يقوم بجولة بين أنقاض قرطاجة، لكتابة تقرير حولها؛ فأوعزوا إلى سائق عربته أن يتخلّص منه، فقُتل بحادث سير مدبّر في ٢٥ تموز سنة ١٩٣٠، بعدما فشّلوه في الانتخابات النيابية التي خاضها، وهو الذي قدّم كل جهده، حتى دماء قلبه، لخدمة القضية اللبنانية، فخسر المعركة ضدّ مرشحهم مسعود يونس بفارق صوتين لا غير [١].

ويبقى من خير الله خير الله، وأمثاله المناضلين في سبيل قضايا بلدانهم، تلك المدوّنات في أرشيف الدول، وسجلّات المخابرات... وسجل خير الله حافل بأمثالها. وتكفي تلك الرسائل التي تبادلها وملوك الشرق، من السنوسي ملك ليبيا، إلى فؤاد الأول ملك مصر، إلى وايزمن المفكّر اليهودي، وغيرهم من رجالات تلك الحقبة من التاريخ، ولا سيما ما قاله فيه صديقه الشخصي الملك فيصل بن الحسين، زعيم الحركة العربية آنذاك: «لا حاجة للشرق إلى سفيرٍ في الغرب ما دام خير الله مقيماً في باريس»...

---

(١) ميشال أبي فاضل في مقدمة ترجمته لكتاب خير الله خير الله «حول المسألة الاجتماعية والتربوية في سورية. سنة ١٩٨٤ - دار الانشاء والصحافة والطباعة والنشر» المقدمة صفحة ٢٢.

# الفصل الثالث

## الصراع الدولي للسيطرة على لبنان خلال الحرب العالمية الأولى

### المجلس العرفي

على اثر انتشار الروابط، والجمعيات، والأحزاب، السرية، المطالبة باستقلال البلاد في لبنان، وبلدان المهجر، نشطت أجهزة الأمن العثمانية، والأوروبية، لضبط تحرّكات هؤلاء السياسيين، والقادة الوطنيين. وكان أبرز العاملين في هذا المجال، جمال باشا، حاكم لبنان وسوريا وفلسطين، العسكري. وما أن اكتمل الملفّ الذي كان يجهّزه، حتى أصدر قراراً بانشاء مجلسٍ عرفي في عاليه، لمحاكمة هؤلاء القادة المطالبين بالاستقلال، والانفصالِ عن تركيا. وكانت هيئة التحقيق مؤلّفة من كامل بك هاشم، البكباشي المتقاعد، وهو دمشقي الأصل. والمستنطق داود أفندي الموصلي، وعضوين: هما الحاج عارف الحمصي، وحسني الدمشقي. وكاتبٍ، هو محيي الدين علم الدين. أما المحكمة العسكرية، فكانت مؤلّفة



من القائمقام أدهم بك بصفته الرئيس، والبكباشي فتحي بك، وكمال بك وكامل بك البغدادي وهما برتبة يوزباشي، والملازم عبدالله الموصلي، بصفة أعضاء. والمدّعي العام صالح بك عبد العال... ثم عُزل رئيس المحكمة أدهم بك، وعُيّن مكانه فخر الدين بك، كما عُيّن مدّع عام جديد يدعى مرتضى بك. وكان هدف تركيا، و «الاتحاديين (والكلام للشريف حسين بن علي، أمير مكة، في إنذار أرسله بواسطة الولايات المتحدة إلى حكومة اسطنبول، حول هذه المحاكمات) خنق النهضة العربية، وقتل كلّ ساعٍ إليها، ونفي كل متنوّر عربي، وإجراء مبادلة بين السكان، بين بيوتات العرب والأرمن لبلاد الترك»[1].

وابتدأت الاعتقالات، والمحاكمات الصورية، بتهمة التآمر على أمن السلطنة العلية، والخيانة العظمى، وصدرت الأحكام في ٢٠ آب سنة ١٩١٥ بشنق القافلة الأولى من الشهداء وعددها ١١ شخصاً وهم: عبد الكريم الخليل عضو حزب الاتحاد اللبناني، ومحمّد المحمصاني وأخوه محمود، صالح حيدر، عبد القادر الخرسا، علي الأرمنازي، نور الدين القاضي، مسلم عابدين، محمود العجم، نايف تللو، وسليم عبد الهادي. وقد تمّ إعدامهم في بيروت، في ساحة البرج التي دُعيت «ساحة الشهداء» باسمهم، وتخليداً لذكرهم.

ومع هذا لم يتوقّف العمل الوطني خوفاً من الموت، بل ازداد الوطنيون تصلّباً وحماساً، لأن الارهاب والضغط لا يزيدان المؤمنين

(١) محمد كردعلي «خطط الشام»، مكتبة النوري دمشق سنة ١٩٨٣، مجلد ٣، صفحة ١٤٢.

بقضاياهم، إلاّ تمسّكاً بها، وتماسكاً في ملاحقتها، بعدما تمّ دفع الثمن غالياً لبلوغ غاياتها وأهدافها النبيلة. وراح العثمانيون يزيدون رصد التحركات، وبث العيون، ويزجّون الأحرار في السجون، ويلاحقون المشبوهين، ويحصون همساتهم وأنفاسهم ليلاً نهاراً. ولم يلبثوا أن أصدروا مجموعةً ثانيةً من أحكام الاعدام، وقادوا القافلة الثانية التي ضمت ١٤ شهيداً إلى ساحة الشرف البيروتية، وهم: الشيخ أحمد طبّارة، وباترو باولي، وسعيد عقل، وعبد الغني العريسي، وعارف الشهابي، وجورج حداد، وتوفيق البساط، وسليم الجزائري، وأمين لطفي، ومحمد الشنطي، وجلال البخاري، وعلي الحاج عمر، وسيف الدين الخطيب. وقد أعدموا في ٦ أيار سنة ١٩١٦. وبما أنها أكبر قوافل الشهداء، لذلك جُعل السادس من أيار عيداً للشهداء. وقد أُلحق سبعة شهداء بهذه القافلة، تمّ شنقهم في ساحة المرجه بدمشق في اليوم نفسه.

وكانت القافلة الأخيرة التي أُعدمت خلال العام ١٩١٦، وفيما بعد، تضم سبعة شهداء آخرين هم: الأخوان فيليب وفريد الخازن، صاحبا «المحررات السياسية»، ويوسف الهاني، والخوري يوسف الحايك، وسواهم...

وهكذا اختلط الدمّ المسيحي والمسلم على الأرض اللبنانية، في سبيل قضية واحدة، هي استقلال الوطن، والتصدّي لأعدائه، وانتزاع سيادته واستقلاله، بعدما استنزف الحكم العثماني طاقاته طيلة أربعة قرون. والأجنبي الذي ظن أنه بإزهاقه أرواح اللبنانيين يُطفىء جذوة النضال، وبإراقته دماءهم يقضي على المقاومة، فوجىء بالمقاومة التي ازدادت صموداً، وبالتيار التحرّري الذي تضاعف اندفاعاً وزخماً.



## نهاية جمال باشا ونجاة أهل الشمال من الاعدام

ولم يكتفِ جمال باشا بإعدام من أعدم، من أحرار البلاد، بل حكم بالنفي، وإبعاد الأحرار عن البلاد، فسيق عدد كبير منهم إلى الآستانة، وكان بينهم ابرهيم بك عقل مدير البترون، ويوسف فريفر مدير ناحية كفرحي (البترون)، ونقولا غصن (الكوره) وحنا الضاهر (الزاويه) ونمر شمعون والد الرئيس شمعون (دير القمر)، وسواهم[1].

وبما أنه لا ظالمٌ إلاّ ويُبلى بأظلم، فقد كان مصرع جمال باشا على يد أحد الفتيان الأرمن الذي أطلق عليه النار في تفليس، عاصمة جورجيا، فأرداه قتيلاً سنة ١٩٢١. وكان قد غادر لبنان سنة ١٩١٨ بعدما فشل في احتلال قناة السويس، وإخماد نار المقاومة المشتعلة في الشرق ضد أسياده العثمانيين. ولكنه استطاع العثور من المستشار في السفارة الفرنسية في دمشق، الذي حُكم عليه بالاعدام، على مكان وضع وثائق السفارة ضمن جدارٍ في مبنى السفارة، مقابل إطلاق سراحه، وقد مكّنته تلك الوثائق من كشف أسماء الشخصيات السورية واللبنانية التي كانت تراسل الفرنسيين من أجل الحصول على المساعدة والاستقلال. وكان بينهم الكثير من الشهداء الذين أُعدموا شنقاً في البلدين، ولكن القادة الطرابلسيين نجوا من المحاكمة بفضل الشيخ بشير علم الدين الذي كُلِّف درس ملفّ طرابلس، فأتلف الوثيقة التي كان قد نظّمها وجهاء طرابلس إلى الفرنسيين مطالبين بمساعدتهم لسلخ لبنان عن السلطنة العثمانية[2].

---

(١) أوراق لبنانية ـ جزء أول صفحة ٥٢٢.

(٢) سميح الزين «تاريخ طرابلس» صفحة ٣٤٦ ـ ٣٦٦، اصدار سنة ١٩٦٩.

## أهوال الحرب العالمية الأولى

لقد عانى اللبنانيون الأمرّين من جرّاء الحرب العالمية، وقاسوا ما لم تقاسه من ويلات الحرب، وأهوالها، أية ولاية أخرى من ولايات السلطنة العثمانية[1]، إذْ أقفلت أبواب البحر في وجوههم، وحُرموا من مساعدات أقربائهم في الخارج، ومن وصول المواد الغذائية. وكان الجيش التركي الجائع قد صادر حبوبهم، وشاركهم في مؤنهم، وفرض عليهم الضرائب الباهظة. وبرز شبح المجاعة بسبب الغلاء، وانقطاع المواد الغذائية. وبحلول شتاء ١٩١٦ سار كثيرون من المواطنين مغادرين بيوتهم طلباً للقمة العيش، باتجاه حوران، وحلب، أو باتجاه أقرباء لهم في قرى أخرى، بحثاً عما يسدّ رمق الحياة. فمات الكثيرون منهم على الطرقات، ولم يجدوا من يدفن الجثث المهترئة. والذين نجوا من الموت جوعاً، ماتوا مرضاً، بسبب إنتشار الحمّيات والطاعون، والأوبئة التي راحت تفتك بالأعداد الكبيرة من المواطنين. وكأن القدر لم يكتفِ بكل هذه العذابات، فأرسل الجراد إلى البلاد، وحرم الناس من أكل الأعشاب والنبات، وقضى على الأخضر واليابس. وكانت أسرابه تحجب نور الشمس أياماً كاملة. ولولا استطاعة بعض اللبنانيين، في أوائل سني الحرب، من الحصول على الأموال من أقاربهم في المهجر، ولولا مساعدة بعض المحسنين من رجال الخير، أمثال الأميركي المدرّس في الجامعة الأميركية كليفلند دودج الذي كان يتولى مؤسسة غوث أميركية، لما اقتصر الموت على ثلث السكان اللبنانيين المقيمين في البلاد فقط. وقد «أنفقت هذه المؤسسة الأميركية التي استمرت من العام ١٩١٦ إلى العام ١٩٢٩ مئة مليون

(١) حتي «تاريخ لبنان» صفحة ٥٨٩ دار الثقافة سنة ١٩٧٢.



دولار، وعلّمت ١٣٦,٠٠٠ ولد، وأطعمت ١٢,٥٠٠,٠٠٠ جائع، وعالجت طبّياً ستة ملايين نسمة»[1]. وقد «قامت إحدى المؤسسات الأميركية باحصاء في جنوب لبنان فتبينّ لها أن ١٨٢ قرية بمساكنها البالغ عددها عشرة آلاف مسكن، وبعدد سكانها البالغ ٧٧ ألفاً، تهدّم فيها ٢٥٠٠ مسكن أثناءالسنوات الأربع من سنيّ الحرب، هلك ٣٣ ألف نسمة. وأن الأربعة وأربعين ألفاً الباقين فيهم ١٦,٤٠٠ فقير معدم، و٢٦٠٠ يتيم. وبلغت خسارة لبنان في الأرواح مئة ألف نسمة من ٤٥٠,٠٠٠»[2].

## نهاية الحرب

وفي الخامسة صباحاً من يوم ١١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ أُعلن انتهاء الحرب العالمية الأولى رسمياً، بعد توقيع استسلام ألمانيا من قبل ممثّلها أرزبرجر، دون مناقشة، في عربة سكة حديد في غابة كومبين، في جزيرة مودروس، بحضور ممثّل الحلفاء المنتصرين، الجنرال فوش. وكانت آخر كلمة قالها أرزبرجر للجنرال فوش: «إن أمةً تعدادها ٧٠ مليوناً، قد تعاني الألم، لكنها لا تموت». وعلى هذا التحدّي رد فوش: «Très bien»[3].

(١) فرانك روس Frank. A. Ross «The Near East American Philan - Thropy» New York 1929 - P. 2.

(٢) حتي - صفحة ٥٩٢ نقلاً عن جرجس المقدسي «أعظم حرب في التاريخ» صفحة ٥٩.

(٣) عمر الديراوي «الحرب العالمية الأولى» صفحة ٥٨٠.

# الفصل الرابع

# مُفاوضات الإنتداب

## دخول الحلفاء إلى لبنان

احتل الجنرال اللنبي في شهر أيلول سنة ١٩١٨ فلسطين، بعدما انطلق من قاعدته في مصر، وراح يعدّ العدة لاحتلال سوريا ولبنان. و«كانت الجيوش العربية بإمرة فيصل بن الحسين تعاونه عن طريق شرق الأردن»[١]. وأخذت جيوش الحلفاء تتقدّم باتجاه لبنان. وراحت الطائرات تقصف بيروت، وتُسقط البيانات واعدةً بالحرية والاستقلال. وعندها تراجع الجيش العثماني عنها مفسحاً في المجال أمام فرقة انكليزية، تعاونها فرقة عربية، بقيادة شكري الأيوبي، لدخول المدينة، حيث تمّ رفع العلم العربي على السراي والدور الرسمية في بيروت والجبل. وعيّن الأمير فيصل عمر بك الداعوق حاكماً على

(١) راجع كتاب لورنس Laurence «Revolt in the Desert» (NewYork, 1927) P. 2



بيروت، وحبيب باشا السعد رئيساً لمجلس الإدارة وحاكماً على جبل لبنان. وقد أقسم حبيب باشا يمين الولاء للشريف حسين بن علي أمير مكة، ونجله الأمير فيصل الذي قاد القوات العربية المقاتلة إلى جانب الحلفاء طمعاً بتوحيد البلاد العربية وحكمها. وجُعلت بيروت عاصمة المنطقة الغربية التي تضمّ الساحل، وجبل لبنان، وبلاد العلويين، وكيليكيا. كما جُعلت دمشق عاصمة المنطقة الشرقية.

ولما دخل الفرنسيون لبنان، انسحب شكري باشا الأيوبي إلى دمشق، فعيّن الفرنسيون الكومندان سيشه حاكماً إدارياً على جبل لبنان، وأبقي حبيب باشا رئيساً لمجلس الإدارة. كما عُيّن الكولونيل نياجرو حاكماً إدارياً عاماً على بيروت باعتبارها عاصمة المنطقة الغربية المنوّه عنها. بينما استلم جورج بيكو، القنصل السابق في بيروت، مهمّة المفوّض السامي، يعاونه المسيو كولندر Coulondre، والكابتن دام المحرّك الفعلي للسياسة الفرنسية في لبنان. ثم عُيّن اميل اده مستشاراً سياسياً مطلق الصلاحية للمفوّض السامي.

## البحث عن نظام جديد للبنان

وأخذ اللبنانيون يعقدون الاجتماعات للبحث عن نظام جديد للبنان. وكان المسلمون بأكثريتهم الساحقة إلى جانب دمج لبنان بسوريا. وأكثرية المسيحيين تطالب بالاستقلال عن سوريا تحت الانتداب الفرنسي. بينما وقفت أقلية من الطرفين تطالب باستقلال لبنان الكامل، ولكن بخوف وحياء، في الوقت الذي وقف فيه عدد مماثلٌ لهؤلاء، من المسيحيين المغالين، يطلب اعتبار لبنان إقليماً فرنسياً. وفي ذاكرتهم لا يزال يلوح الطيف العثماني المهيمن خلال

القرون الأربعة الماضية، وما عاناه المسيحيون من العذابات على يد ولاة الشام، وصيدا، وطرابلس.

## حكام لبنان في بداية الدخول الفرنسي

عُيّن حسين الأحدب متصرّفاً على طرابلس، وجبران النحاس متصرفاً على زغرتا، وكان عزمي بك، مدير شرطة الآستانة قد تولّى متصرفية طرابلس من العام ١٩٠٨ إلى العام ١٩١٤. ثم نُقل والياً إلى بيروت، وخلفه على ولاية طرابلس رشيد بك طليع. وفي كانون الثاني سنة ١٩١٧ ألغى جمال باشا نظام المتصرفية، وأدخل لبنان تحت الحكم العثماني المباشر. ثم أقال علي منيف بك، وعيّن اسماعيل حقّي بك. ثم أقاله وعين ممتاز بيك في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ودام حكمه شهرين، ورحل برحيل العثمانيين، ودخول الحلفاء لبنان.

## تقرير انتداب فرنسا على لبنان في اجتماع «سايكس ـ بيكو»

اجتمع الحلفاء للبحث في مصير بلدان الشرق الأوسط بعدما قرّروا ترحيل العثمانيين في ١٦ أيار ١٩١٦. وقد مثّلت الفرنسيين، لجنة على رأسها قنصلهم في بيروت جورج بيكو. ومثّلت الانكليز، لجنةٌ برئاسة مارك سايكس. وبعد التداول تمّ الاتفاق على تقسيم المنطقة، بحيث يخضع لبنان وسوريا للانتداب الفرنسي، والعراق، والأردن، وفلسطين ومصر، للانتداب الانكليزي. كما وضع الخبراء في اللجنتين الحدود الفاصلة بين هذه الدول.

ولكن المسلمين في لبنان، راحوا يعقدون الاجتماعات، ويوجّهون العرائض إلى الأمير فيصل، والدول الغربية ذات الشأن،



مطالبين بالانضمام إلى سوريا، بقيادة الأمير فيصل، بن الحسين شريف مكة. وكثر الكلام على الدولة العربية الإسلامية التي بُحث أمرها في «مؤتمر باريس العربي» الذي نوّهنا عنه، وازداد قلق المسيحيين من الحديث عن العودة إلى تطبيق التعاليم الإسلامية، وعاد الخوف من الرجوع إلى تقسيم المواطنين إلى مسلمين وأهل ذمة. كما اختلف اللبنانيون فيما بينهم «في تعيين مصدر الخطر الطائفي، وإن لم يكن في البداية كذلك، إلا أنه ما لبث أن تحوّل إلى طائفية سياسية»[1].

## التيارات الاستقلالية والعربية

وما أن غادر الأتراك لبنان، حتى انقسم اللبنانيون بعد رحيل جمال باشا في كانون الثاني سنة ١٩١٨، ودخول الفرقة العربية ـ الانكليزية، ثم حلول الفرقة الفرنسية محلها، إلى ثلاثة تيارات:

**أولاً:** تيار قومي عربي، يدعو للوحدة مع سوريا، ويتزعّمه الأمير فيصل بن حسين، ويضم ٩٠٪ من المسلمين و١٠٪ من المسيحيين.

**ثانياً:** تيّار قومي لبناني بزعامة «حزب الاتحاد اللبناني» في مصر والذي يتزعّمه يوسف السودا، ورابطة «النهضة اللبنانية» في نيويورك والتي يتزعّمها نعوم مكرزل، و«الرابطة اللبنانية في باريس» والتي يتزعمها خيرالله خيرالله. ويضم هذا الفريق ٩٠٪ من المسيحيين.

**ثالثاً:** تيار صغير لا يتعدّى العشرة في المئة يطالب بالاتحاد مع فرنسا، ومعظمه من المسيحيين المتحمّسين لفرنسا.

---

(١) الدكتور مسعود ضاهر «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية» معهد البحوث والانماء العربي سنة ١٩٨١ صفحة ٨٩.

## الحكومة العربية الأولى في لبنان

تألّفت أول حكومة عربية في لبنان، فور دخول **الأمير فيصل** والانكليز إلى لبنان، بعد طرد الأتراك من بيروت، وكانت **برئاسة** عمر بك الداعوق، وعضوية سليم بك سلام، وأحمد مختار بيهم، وجان فريج، والفرد سرسق، وغيرهم. ثم انضمّ إليهم الأميرالاي التركي المتقاعد شكري الأيوبي. ورفعت هذه الحكومة العلم العربي على السراي. وأصدرت قراراً بوجوب متابعة الموظفين أعمالهم، كما كانوا في عهد الأتراك. ثم دعت الأهالي لعدم حمل السلاح، والتظاهر، والتعدّيات.

كما تألّفت حكومة عربية أخرى في صيدا برئاسة رياض الصلح، وفي صور حكومة برئاسة عبدالله يحيى الخليل. ورُكّز العلم الذي حمله كامل بك الأسعد، ومعه مندوب الأمير فيصل، إيليا الخوري، في بيت آل الفضل، في النبعه. واشتدت المنافسة بين الأسعد وعبدالله الخليل من جهة، ورياض الصلح من جهة ثانية، على رئاسة حكومة جبل عامل»[١].

وفي تلك الآونة دخلت جيوش الحلفاء صيدا، «فمنع «فيجل» الحاكم العسكري، التجمّعات، والمداولة في صيرورة البلاد العائد حلّها للحلفاء»[٢].

وإلى جانب هذه التيارات القومية العربية، والقومية اللبنانية، ظهر تيّار آخر أكثر اعتدالاً، ويمثّل المسيحيين والمسلمين، ويضمّ بشاره الخوري، ورياض الصلح. وأخذ أقطابه يدعون للتوفيق بين

(١) محمد كردعلي «خطط الشام»، مجلد ٣، صفحة ٢٢٠ - ٢٢٣.

(٢) مرجع سابق.



الدعوات المتناقضة، والدعوة لتيار يمثّل الاستقلال اللبناني مع أقصى العلاقات الأخوية مع العرب. وأخذ هذا التيار يتنامى مع الوقت.

## استقلال شريف مكه بالحجاز

وبعد انتصار الحلفاء ودخولهم لبنان، أعلن شريف مكه الأمير حسين بن علي إستقلاله بالحجاز، وراح إبنه الأمير فيصل يطالب بتوحيد البلاد السورية تحت حكمه، تنفيذاً لوعدٍ سابق في رسائل مكماهون - الحسين، والذي كان الحلفاء قد قطعوه له للوقوف بجانبهم. إلاّ أنهم حنثوا بوعدهم، وفصلوا له العراق ليحكمها تحت الانتداب الانكليزي الذي شمل أيضاً الاردن، وفلسطين، ومصر.

وأخذت الوفود تُشكّل، والنشاط السياسي يتضاعف، والاجتماعات تتواصل، لبحث مستقبل هذه الدول المحرَّرة. وراحت المؤتمرات تتوالى. وكان أولها مؤتمر باريس العربي الذي تحدّثنا عنه. ثم اجتماع سايكس - بيكو الذي قضى بتوزيع هذه البلدان كما أشرنا بين الفرنسيين والانكليز. وتمّت التحضيرات لعقد «مؤتمر الصلح» في باريس، أو «مؤتمر فرساي»، للنظر بمطالب هذه الدول. وأخذت الاستعدادات تجري على قدم وساق، لتحضير الملفات، والمندوبين، إلى هذا المؤتمر.

## مؤتمر الصلح

اضطر الفرنسيون والانكليز الى الرضوخ أمام الضغوط، وفتح باب البحث في أمر وضع الحلول لقضية البلدان المحرّرة، في «مؤتمر الصلح» الذي انعقد في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٨.

وكانت هذه الضغوط تتمثّل من جهة بالمطالبة الشعبية، والعرائض والمظاهرات، في أوساط شعوب البلدان المحرَّرة، من أجل الاستقلال والوحدة. ومن جهة ثانية بإعلان الرئيس الأميركي ولسن مبدأ حق الشعوب الصغيرة بتقرير مصيرها، بالاشتراك مع الدول المنتصرة، والكبرى.

وكان الأمير فيصل يسعى إلى بسط سلطانه على هذه الدول المحرّرة، «وقاومه اللبنانيون والفرنسيون على السواء، فتضاربت. مصالح القوى المتنافسة على الساحة اللبنانية»[1].

وقد أرسل لبنان إلى «مؤتمر الصلح» ثلاثة وفود لعرض وجهة النظر اللبنانية:

**١ ـ الوفد الأول:**

تشكّل هذا الوفد برئاسة داود عمّون في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٨، وشارك في عضويته السادة: اميل إده، عبد الله خوري سعاده، محمود جنبلاط الذي استُبدل بنجيب عبد الملك، وإبراهيم أبو خاطر، وعبد الحليم الحجار، وتامر حماده الذي انسحب هو الآخر. وكان يمثّل جميع الطوائف اللبنانية، ويحمل في جعبته المشروع التالي:

١ ـ توسيع نطاق جبل لبنان، وضم الولايات المسلوخة عنه، والمعروفة تاريخياً، وجغرافياً.

٢ ـ تأييد الاستقلال اللبناني الاداري.

٣ ـ تأليف مجلس نيابي نسبي تتمثّل فيه جميع الطوائف.

٤ ـ طلب مساعدة فرنسا لتحقيق ما تقدّم، ونشر العلوم،

(١) جورج أديب كرم «قضية لبنان» دار المنهل سنة ١٩٨٥ صفحة ١٥.



والعدالة، والحرية، والمساواة، وإزالة أسباب التفرقة، وضمان دول الحلفاء لاستقلال لبنان. . .

وقد أبدى هذا الوفد نشاطاً ملحوظاً حتى الثالث من أذار سنة ١٩١٩. ولكن الفرنسيين لم يمكّنوه من حصاد أي شيء، فعاد بخُفّي حُنين. بينما سافر الأمير فيصل إلى لندن وباريس، مطالباً بحكم المنطقة الشرقية. وكانت السلطات الانكليزية قد عرقلت سفر الوفد عند وصوله إلى مصر، ولولا المداخلات الفرنسية لمنع سفره إلى فرنسا، لمطالبتها بتبنّي مطالب لبنان. ولم يتمكّن الوفد من الوصول إلّا بعد افتتاح المؤتمر بأسابيع.

## إنضمام شكري غانم إلى المؤتمر

ولما كان شكري غانم قد انفصل عن رفاقه في «الرابطة اللبنانية في باريس»، واستحصل على الجنسية الفرنسية، وكُلّف من قبل الفرنسيين برئاسة «الجمعية السورية المركزية»، لسان حال الطروحات الفرنسية، فقد طالب بسماع رأي حركته في مؤتمر الصلح، متعجّباً في رسالة إلى مدير الشؤون السياسية، ثم إلى وزير الخارجية الفرنسية السيد «بيشون، Pichon»، كيف أنه لم يُدعَ إلى المؤتمر، ويتساءل هل هناك «تبدّل ما؟ وإذا كان الأمر هكذا فلماذا لم تبلغني إيّاه؟ أنا رجل متفهّم. لا أطلب أكثر من أن أفهم وأرضخ»[1]. كما أنه أرسل كتاباً إلى الوزير المذكور يحتج فيه على تأليف «الجمعية اللبنانية»، ويدعو لضرب «الرابطة اللبنانية في باريس»، التي تقوم «بنشاط هو خيانة حيال سوريا، وحيال فرنسا. فأنا أرجو معاليكم

(١) جورج كرم ـ مرجع سابق ـ نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية رقم ١٦/م، صفحة ٥٢.

التفضّل بالنظر فيها إذا كان من المناسب الإيعاز ببعض التدابير. . . ومن المؤسف حقاً ان تؤدي حفلات العشاء التي يحثّ هذا الأمير الشاب (خير الله خير الله) على إقامتها في بيوت اللبنانيين، مثل المأدبة التي أوعز إلى بعض الأشخاص لاقامتها على شرفه، إلى حصول أحداث وفضائح، تكون لها أصداء مخزية»[١]. وراح شكري غانم يسهّل للوفد اللبناني سبل اللقاء مع المسؤولين الفرنسيين، ورافقه في مقابلة رئيس الجمهورية الفرنسية السيد ريمون بوانكاره، حيث ألقى داود عمون خطاباً في المناسبة مستهلاً إياه بأنه «لشرف عظيم لي، وحظٌّ سعيد ان ينتدبني مواطنيّ عنهم، ثلاث مرات متتالية، وأن تستقبلوني فيها تباعاً، سيدي الرئيس. وكان سروري بهذا الشرف يتضاعف، لأن مقدّمي في هذه الزيارات الثلاث، كان صديقي الجليل شكري غانم، اللبناني الكبير، والسوري العالي المقام. وفي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ رفع اللبنانيون المقيمون في مصر إليكم بواسطتي أماني الشعب اللبناني، وهنّؤوكم لارتقائكم منصب رئاسة الجمهورية، واليوم بصفتي مندوب مجلس إدارة جبل لبنان. . .»[٢].

## الاستماع إلى الأمير فيصل والمستر بلسّ في مؤتمر الصلح

واستمع المؤتمر إلى كلمة ألقاها الأمير فيصل، واستُدرج فيها، على حدّ ما جاء في مذكرة «الرابطة اللبنانية في باريس»، للحديث عن «المسألة اللبنانية». كما استمع المؤتمر أيضاً، وبصفة شاهد حيادي، كما ذكرنا، إلى المستر بلسّ Bliss مدير الجامعة الأميركية في

(١) مرجع سابق صفحة ٥٥.

(٢) مرجع سابق صفحة ٧٩ مذكرة رقم ٢٨.



بيروت. وقد استمرّت جلسات المؤتمر إلى أواخر شباط سنة ١٩١٨. وانتهت «بإرسال لجنة «كنج - كراين»، لتقصّي الحقائق»، حول أهداف الشعب اللبناني الحقيقية، بسبب تبلّغ المؤتمر عرائض تختلف في مضمونها عمّا طالب به الوفد اللبناني الرسمي.

### ٢ - الوفد الثاني:

أخذ مبادرة تأليف هذا الوفد البطريرك الماروني الياس الحويك. وقد تألف الوفد الثاني إلى مؤتمر الصلح برئاسة غبطته، وعضوية ثلاثة مطارنة موارنة: شكر الله خوري، واغناطيوس مبارك، وبطرس فغالي، ومطرانين من الروم الكاثوليك هما: كيريللس مغبغب، وتيودوثيوس معلوف، إضافةً إلى مدني واحد، هو لاوون الحويك، شقيق البطريرك. وقد غادر في ١٥ تموز سنة ١٩١٩، ووصل إلى باريس في ٢٢ آب، بعد أن قابل قداسة البابا في روما، حيث قابل رئيس الجمهورية الفرنسية بوانكاره، ورئيس المجلس النيابي دي شانيل، ورئيس مجلس الشيوخ ديبوست، ورئيس الحكومة كليمانصو، ووزير الخارجية بيشون، والمارشال فوش. وعرض المطالب اللبنانية على مؤتمر الصلح في ٢٧ تشرين الأول سنة ١٩١٩. وعاد إلى لبنان حاملاً معه وعداً باعطاء لبنان حقوقه، وتلبية هذه المطالب التي تُختصَر باستقلال لبنان، وإعادة الأراضي المسلوخة عنه، وتقرير الانتداب الفرنسي عليه.

### ٣ - الوفد الثالث:

وبعد تصريح الأمير فيصل، على إثر رجوعه من فرنسا، ومقابلته رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو «بأن لبنان لا تتوسع حدوده، إنما يستقلّ عن فرنسا»، قلقت الخواطر، فسارع البطريرك

الحويك بإرسال وفد برئاسة نائبه العام، المطران عبد الله خوري، وعضوية الأمير توفيق إرسلان، والشيخ يوسف الجميّل، والأستاذ آميل إده. ولحق بهم في ٢٤ آذار سنة ١٩٢٠ المطران كيرللس مغبغب، مطران زحله[١]. أما أحمد بك الأسعد، والفرد سرسق، فلم يلتحقا بالوفد.

وكان هذا الوفد يحمل صك توكيل من مجلس إدارة لبنان، والبطريرك الماروني. وقد أبلغ هذا الوفد إلى المسؤولين الفرنسيين رفضه لما جرى في مؤتمر دمشق من محاولة الأمير فيصل إدخال لبنان تحت سيطرته، وضمّه إلى سوريا، مما جعل اللبنانيين يقلقون على مصيرهم في لبنان، وفي بلدان الاغتراب. وجرت مناقشة في البرلمان الفرنسي بهذا الخصوص، وأجمع النواب على عدم جواز المساس بحقوق لبنان في انشاء دولة خاصة به، وأوعزوا إلى الحكومة الفرنسية لعمل ما يلزم، تنفيذاً لهذه الرغبة. وطلبت فرنسا وانكلترا حضور الأمير فيصل لمناقشته في الأمر، فأرسل في نيسان سنة ١٩٢٠ نوري باشا السعيد. وكان الانكليز يحاولون دعم مخطط الأمير فيصل. وراح رئيس الوفد اللبناني المطران عبد الله يضغط كي لا ينجح مندوب الأمير فيصل في مسعاه، لا سيما والقضية ستُبحث قريباً في اجتماع سان ريمو في إيطاليا بين دول الحلفاء. وأصرّ الوفد على المطالبة بعدم سلخ طرابلس وبيروت وجعلهما مدينتين حرتين، كما طالب بعض اللبنانيين. وشدّد أيضاً على وجوب اعتماد خارطة قيادة الحملة الفرنسية في العام ١٨٦٠ لتعيين حدود لبنان. وطالت المداولات في هذا الأمر، ثم صدرت المعاهدة بين فرنسا وتركيا، ولم تتضمّن أي إشارة حول استقلال لبنان، فزاد قلق الوفد واللبنانيين،

(١) إبراهيم حرفوش «دلائل العناية الصمدانية» صفحة ٦١٢.



على مصير بلادهم. عندها أرسل الوفد مذكرة قوية اللهجة إلى مؤتمر الصلح في ١٣ أيار سنة ١٩٢٠ مؤكّدةً إصرار اللبنانيين على استقلال بلادهم. ثم جرت محاولات لسلخ البقاع عن الحدود اللبنانية، فأرسل اللبنانيون بواسطة المفوّض السامي الجنرال غورو عرائض موقّعةً من أهل البقاع، ترفض هذا السلخ، وتصرّ على البقاء ضمن الحدود اللبنانية. وكان رئيس الوفد ينتقل بين روما وباريس، من وقتٍ إلى آخر، مطالباً بالضغط على المسؤولين الفرنسيين لدعم المطالب اللبنانية. وتلقّى الوفد أخيراً رسالةً من السيد ميلران، رئيس الوزارة الفرنسية، يطلعه فيها بتاريخ ١٩ آب سنة ١٩٢٠ بأن القرار الثابت والذي لا رجوع عنه هو استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي. وقد دوّن قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر، على خريطة لبنان التي عرضها عليه رئيس الوفد اللبناني المطران عبد الله خوري: «نحرص عشية تحقيق رغبات أبنائنا اللبنانيين الأعزاء على تهنئتهم، وعلى منحهم من صميم قلبنا البركة الرسولية». روما في ٢٧ آب سنة ١٩٢٠ بنديكتوس الخامس عشر[١].

وفي آخر رسالة تلقاها رئيس الوفد قبيل مغادرته باريس من رئيس الوزارة الفرنسية السيد ميلران جاء: «إن بامكان «لبنان الكبير» أن يعتمد على فرنسا حاضراً ومستقبلاً... وأرجوكم يا حضرة الرئيس، نقل هذه الأمور مجدّداً إلى الأمة اللبنانية» - باريس في ٢٤ آب ١٩٢٠ - ميلران[٢].

وردّ المطران عبد الله على الرسالة برسالة جوابية ختمها بقوله: «باسم جميع الأجيال اللبنانية التي تلاحقت منتظرة هذا الحدث

(١) جورج كرم «قضية لبنان» صفحة ٢٨٦ نقلاً عن إبراهيم حرفوش - مرجع سابق صفحة ٦٤٣ - ٦٤٩.
(٢) مرجع سابقة.

السعيد، وباسم جميع شهداء القضية الفرنسية في لبنان الذين ستهتزّ عظامهم فرحاً في هذا اليوم الذي تتحقق فيه مطالبهم، وباسم وفدنا وسائر اللبنانيين، نوجّه إليكم شخصياً سيدي الرئيس، وبواسطتكم إلى حكومة الجمهورية، تقديرنا وشعورنا العميق بالجميل، مع تمنياتنا الحارة لسعادة فرنسا، وعظمتها. تفضلوا صاحب الدولة بقبول فائق احترامنا.

باريس في ١٨ أيلول ١٩٢٠

ع. خوري
مطران عرقا الماروني
رئيس الوفد اللبناني

وكان هذا الوفد قد تلقّى عشرات رسائل المساندة، والدعم، من المغتربين اللبنانيين المنتشرين في أرجاء العالم، ومن رؤساء الروابط والجمعيات التي تحدّثنا عنها سابقاً وخاصةً من نعوم مكرزل ويوسف السودا، وخيرالله خيرالله وغيرهم... وعاد إلى لبنان لإبلاغ البطريرك بما أنجزه من مهماتٍ، وما تلقّاه من وعود، بانتظار اليوم السعيد الذي ستُعْلَن فيه ولادة «لبنان الكبير».

## لجنة كنج - كراين

ولما كان «مؤتمر الصلح» قد تلقّى بعض العرائض والبرقيات من جهاتٍ لبنانية تطالب بضم لبنان إلى سوريا، وترفض المطالب التي تقدّمت بها الوفود الرسمية اللبنانية، لذلك قرّر هذا المؤتمر إنشاء لجنة تتمثّل فيها دول الحلفاء لاستقصاء الحقائق على الساحة اللبنانية، وتقديم تقرير إلى المؤتمر بذلك. وبعدما تلكّأت فرنسا وانكلترا عن تعيين ممثّليها في هذه اللجنة، اقتصرت عضوية اللجنة على



مندوبين أميركيين هما: كنج، وكراين. وقد أمر الرئيس الأميركي ولسن، أن يعمل مندوباه، ولو بصورة منفردة.

وبعد التجوّل في سوريا ولبنان، وضعت هذه اللجنة تقريرها موصيةً «بالمحافظة على وحدة سوريا ولبنان ضمن لامركزية إدارية واسعة، حسب رغائب السواد الأعظم من سكانها، كما تدلّ على ذلك عرائضهم». وقد جاء في الأسباب الموجبة «لأن البلاد المشار إليها محدودة، وعدد سكانها قليل جداً، ووحدتها الجغرافية، والاقتصادية، والجنسية، واللغة، واضحة بيّنة لا تحتمل إنشاء حكومات مستقلّة ضمن حدودها المطلوبة... وتكون الوحدة أصح إذا أعطي لبنان، وما شاكله، نوعاً واسعاً من الاستقلال الإداري... وبالطبع إن لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون، يُخشى تسلّط المسلمين في سوريا المتحدة. وهناك موانع أربع تقيه هذا الخوف:

١ - استقلاله الإداري الواسع.
٢ - وجود دولة وصية قوية مدة طويلة، فيتألف فيها الدستور الذي تسير عليه الحكومة الجديدة.
٣ - مشاركة جمعية الأمم التي تحافظ على الحرية الدينية وحقوق الاقلّيات.
٤ - شعور الحكومة العربية بضرورة المحافظة على لبنان، لكي تستطيع الدخول في جمعية الأمم.

«... ولذلك، يتابع التقرير، نرى أن تكون سوريا ولبنان متحدين معاً لفائدتها. وهذا رأي اللبنانيين المنفردين المستقلّين أنفسهم...»[١].

(١) جورج انطونيوس «يقظة العرب» صفحة ٦٠٢ - دار العلم للملايين سنة ١٩٨٢.

## مذكّرة البطريرك حويك إلى «مؤتمر الصلح»

ولكن مؤتمر الصلح لم يأخذ بتوصية هذه اللجنة. وأنهى جلساته في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩. وأرسل البطريرك حويك مذكّرةً إلى هذا المؤتمر في ٣ آب سنة ١٩١٩ مطالباً بالاستقلال؛ و«إن لم يكن بُدٌّ من وجود انتداب فليكن فرنسياً». وعاد الوفد الذي أرسله، وأشرنا إليه، بوعد خطيٍّ من رئيس وزراء فرنسا يقول: «إن رغبة اللبنانيين في المحافظة على حكومة ذاتية، ونظامٍ مستقلّ، تتفق وتقاليد فرنسا الحرّة...»[1].

## اعتقال أعضاء مجلس الإدارة اللبناني

ولما قرّرت الدول الحليفة عقد اجتماع في سان ريمو بإيطاليا لتقرير مصير الدول المحرّرة في آب سنة ١٩٢٠، استطاع رياض الصلح إقناع مجلس الإدارة بوجهة نظره الداعية الى استقلال لبنان، ورفض الانتداب الفرنسي الذي عاد بخبره الوفد اللبناني الثالث إلى مؤتمر الصلح. وكان هذا المجلس مؤلّفاً من سليمان كنعان، ومحمود جنبلاط، وسعد الله الحويك شقيق البطريرك الياس الحويك، والياس شويري، وفؤاد عبد الملك، وخليل عقل، ومحمد الحاج حسن. واتخذ هؤلاء قراراً باعلان استقلال لبنان، ورفض أي شكل من الانتداب عليه.

وفي ليل ١١/١٠ تموز سنة ١٩٢٠ توجّه سليمان كنعان وابنه مارون، ورياض الصلح، باتجاه دمشق في سيارة واحدة، بينما انطلق بقية أعضاء مجلس الإدارة في سيارات متفرّقة، للطلب إلى الأمير فيصل وحكومة دمشق مساعدتهم، وأخذ رأيهم، وموافقتهم، على هذا النهج الجديد. وبوصول سيارة السيد كنعان إلى رويسات

(١) جورج انطونيوس - صفحة ٦٠٢.



صوفر، أُعلموا باعتقال الفرنسيين في المديرج أعضاء مجلس الإدارة. وطلب سليمان كنعان، إلى إبنه مارون ورياض الصلح، العودة إلى بيروت، ليتابع وحده الطريق كي ينضم الى رفاقه المعتقلين. وبوصوله إلى المديرج، تمّ اعتقاله. وأُتهم أعضاء مجلس الإدارة من قبل اللبنانيين الموالين لفرنسا، ومن الفرنسيين، بالخيانة، وببيع الوطن لحكومة فيصل[1].

وأبرق الجنرال غورو المفوّض السامي، إلى حكومة فرنسا يقول: «... إن المسؤولين الرئيسيين عن الاضطرابات، وأعمال العنف الموجّهة ضد فرنسا، والذين كنا قد صمّمنا على القبض عليهم، وإحالتهم على المحاكمة، قد تمكّنوا من مغادرة دمشق، قبل وصول جيشنا، ولجأوا إلى حيفا، أو القدس: أمثال... رياض الصلح مدبّر المؤامرة التي كانت ستؤدي الى سفر اللبنانيين المنشقّين إلى أوروبا برفقة الأمير فيصل، والذين أمرت باعتقالهم بينما كانوا ذاهبين إلى دمشق للتبرّؤ من الانتداب الفرنسي، وفي اعتقادهم أنها ستؤمّن لهم الاحتماء بأرض بريطانية...».

بيروت في ١٠ آب (تموز) ١٩٢٠ - الساعة ١٣,١٠ - غورو[2].

ويقول بشاره الخوري في مذكراته «حقائق لبنانية» الجزء الأول صفحة ١٠٤ - ١٠٦: «في ليل ١٠ - ١١ تموز دق بابي رسول من قبله (لابرو Labru - حاكم لبنان المعاون للمفوّض السامي) يدعوني حالاً لمقابلته، فنزلت إلى السراية، ورأيته يتمشّى في الباحة

(١) مذكرات عارف النعمان كما دونها محمد قره علي ونشرها في جريدة «الحياة» الاعداد من ٢٠٨٣ إلى ٢١١٠ تاريخ ٢٠ - ٢٤ آذار سنة ١٩٥٣. وجورج كرم - مرجع سابق صفحة ٣٥٧.

(٢) مرجع سابق.

الداخلية، مضطرباً. ولما سمع وقع أقدامٍ اقترب مني وقال: «أعذرني لأنني أيقظتك من نومك، إلا ان هناك حدثاً خطيراً. قد أوقفنا الادارة، وهم في طريقهم إلى دمشق. إنهم خونة، حاولوا الانضمام إلى الأمير فيصل، وإلحاق لبنان بسوريا. وقد حُلّ المجلس الإداري. أما حبيب باشا السعد، فلم نوقفه، إنما سيكون له حساب معنا، وهو حساب عسير». وانتظر الكومندان لابرو تحبيذي المطلق لعمل الفرنسيين، فرآني واجماً، فقال: «مالك؟» أجبت «لاشيء»، إنما لي سؤال: على ماذا استندتم في مثل هذا العمل العنفي؟» فقال لدينا الوثيقة (ولم يطلعني عليها)، وأردف سائلاً: «أنت لبناني قبل كل شيء. فهل توافق على عملهم؟» قلت: «أوافق على كل مطلب استقلالي، غير أني لا أستعين عليه أحداً من خارج لبنان». فقال: «اتّفقنا؛ سيحاكَم أعضاء المجلس أمام المحكمة العسكرية في بيروت». وشعرت ان الحاكم لم يستحسن رأيي. وفي اليوم التالي اطّلعت على الوثيقة التاريخية التي ضُبطت مع الأعضاء المعتقلين. ولا شك في أني كنت أوقّع عليها بيدي، لولا احتواؤها على وجوب الخروج من لبنان، والتوجّه إلى دمشق، لملاحقة المطالب الواردة فيها، مما يثير اللّبس...».

ونهار السبت في ١٠ تموز المذكور سنة ١٩٢٠ بينما كان القومندان لابرو Labru، حاكم لبنان الإداري، وداود بك عمون، ذاهبَين إلى بيت الدين، شاهدا الجنود السنغاليين يُنزلون المعتقلين من أعضاء مجلس الإدارة: سليمان كنعان ممثل جزين، والياس الشويري ممثّل المتن، وسعد الله الحويك ممثّل البترون، وخليل عقل ممثل المتن أيضاً، وفؤاد عبد الملك ممثل الشوف. وكان يتبعهم محمد محسن عضو مجلس الإدارة وممثل كسروان، ومحمود جنبلاط ممثل



جزين، فعلما بخبر اعتقالهم، ورجعا من صوفر. ولما سأل الحاكم الموقوفين إلى أين يتجهون قالوا إنهم ذاهبون لزيارة يوسف البريدي، عضو مجلس الإدارة في زحله. فارتاب فيهم، ثم سأل السائقين إلى أية جهة قد استأجروكم؟ فقالوا إلى الشام. و«تحقق لدى الحاكم وداود بك، أن الأعضاء ذاهبون إلى الشام ليبيعوا لبنان إلى الأمير فيصل، وكأنهم ممثّلو الشعب. ويُخشى أن يسرعوا فيسلّموا البلاد. رأت الحكومة أن يُفَضّ مجلس الإدارة، ولكن بإرادة الشعب. لهذا أسرع داود بك إلى دير القمر، وذلك نهار السبت الواقع في ١٠ تموز، وطلب من الأهالي أن يعقدوا اجتماعاً عاماً ليتباحثوا فيه بفضّ مجلس الإدارة. فعُقد الاجتماع نهار الأحد في ١١ تموز، وحضره الكابيتان «دور»، المندوب الإداري للجمهورية الفرنساوية، وكل أفراد الأهالي؛ وذلك في قاعة السراي الكبيرة»[1]. وبعد التداول تقرّر إرسال برقية إلى الجنرال غورو ملتمسين إنتخاب لجنة تأسيسية، مصرّين على طلب لبنان الكبير، بتوقيع عموم أهالي دير القمر.

وكان الأمير عادل إرسلان، أحد مستشاري الأمير فيصل سنة ١٩٢٠، «فأنكر إنكاراً قاطعاً أمر الرشوة، ورفض بشدة التهمة التي أُلصقت بأعضاء المجلس الإداري اللبناني»[2].

وقد ضُبطت بحوزة المعتقلين المفكّرة الموقّعة من سبعة أعضاء من مجلس الإدارة وهم: سعد الله الحويك، خليل عقل، سليمان

---

(١) جورج كرم ـ مرجع سابق ـ نقلاً عن مفكرة للأستاذ فؤاد أفرام البستاني وكان عمره آنذاك ١٤ سنة ـ صفحة ٣٥٩.

(٢) زين نور الدين زين «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان» صفحة ٢٥٩ ـ حاشية (٣٠).

كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك، الياس شويري، محمد الحاج حسن. «وكان يوسف البريدي قد تخلّف عن الاجتماع معهم، بسبب مرضه، وأرسل نسيبه نخوّل القاصوف للاشتراك في اجتماعاتهم، ووعد أن يلحق بهم إلى دمشق»[1].

وقد ثبت عند محاكمتهم أن المال الذي دُفع لهم تغطيةً لنفقات السفر، كان من الأمير فيصل لمؤازرة نوري باشا السعيد. والسند الذي كتبه سليمان كنعان بهذا المبلغ كان لأمر عارف النعماني، وبكفالة الأمير أمين إرسلان[2]. وكان في نيّتهم التنسيق مع الأمير فيصل مموّل هذا المشروع.

وقد صدرت عليهم الأحكام بالسجن لمدد مختلفة، تتراوح بين ست وعشر سنوات، وبالنفي إلى جزيرة كورسيكا. وكانت حكومة فرنسا قد طلبت من البطريرك الحويك، ليضغط على شقيقه سعد الله، ليخفّف من حدّة مقاومته للانتداب الفرنسي. وكان إبنه النحات يوسف سعد الله الحويك في باريس، ويعمل إلى جانب خير الله خير الله بهذا الاتجاه أيضاً، وقد أُنذرا مراراً بالتراجع عن موقفهما، ورفضا الاذعان. وقام خير الله بعدة اتصالات مع الحكام الفرنسيين، من أجل إطلاق سراح المعتقلين، وزارهم في كورسيكا واضعاً نفسه بتصرّف قضيّتهم. وقد نجح في الحصول على العفو عنهم، بشهادة الرئيس بشاره الخوري في مذكراته «حقائق لبنانية» طبعة سنة ١٩٦٠، جزء أول صفحة ١٠٦. وتمّ إطلاقهم في أواخر سنة ١٩٢٢، رغم الاثباتات والإتهامات الكثيرة التي دُبّجت بحقهم

---

(١) فؤاد الخوري «النيابة في لبنان» صفحة ١٠١.

(٢) أمين الريحاني «ملوك العرب» جزء ٢ صفحة ٣٢١ - ٣٢٢.



وليس **أقلّها ما أعلنه** الجنرال غورو في رسالة له إلى البطريرك **الحويك: «إن الأمير فيصل** قد أرسل مبلغ ٤٠ ألف ليرة لشراء بعض اللبنانيين، ودفعهم للتنكّر لبلادهم، ولفرنسا... وقد ارتشوا وقبض كل منهم سلفة مقدارها ١٥٠٠ ليرة... وقصدوا دمشق بغية التفاهم مع الأمير فيصل، والابراق إلى المونسيور عبد الله خوري، لإنهاء مهمّته... لذلك ارتأيت صوناً لشرف لبنان، ولشرف الموارنة خاصةً، أن نبادر فوراً إلى فصل قضية لبنان عن قضية هؤلاء الذين أرادوا بيعه... قابلت المونسنيور مبارك فشاركني رأيي، وقد بعث إلى رئيس الوزارة بالبرقية المرفقة. وأرى من المناسب، نظراً للمكانة الرفيعة التي تتمتّعون بها لدى الحكومة الفرنسية، أن ترسلوا شخصياً برقية مماثلة للسيد ميلران».

بيروت في ١٢ تموز سنة ١٩٢٠

**غورو**[1]

وردّ البطريرك على رسالة المفوّض السامي غورو بالقول:

«دُهشت كثيراً لعلمي بالقرار الغريب الذي اتخذه بعض أعضاء مجلس إدارة لبنان... ولست بحاجة لأؤكّد لكم، سيّدي الجنرال، أن البلاد متمسّكة نهائياً باستقلالها تحت إنتداب فرنسا... وإذا كانت الظروف قد دفعت البعض إلى القيام بأعمال تتسّم بنفاد الصبر، فإنها لم تبدّل من أمل عامة الشعب في حلم فرنسا التي لن تتوانى عن تجنيد كل طاقاتها لتسريع الحلّ الذي يضع حداً لحيرتنا وشقائنا. وستدفع العاطفة فرنسا، لأننا نعتبرها أمّنا، إلى التساهل إزاء أخطاء وهفوات بعض أبنائها. وسيتعرّض هؤلاء الأعضاء

---

(١) إبراهيم حرفوش «دلائل العناية العمرانية» صفحة ٦٣١.

لقيامهم بهذا العمل الشائن، إلى لوم البلاد المستمرّ، مما يجعله عقاباً كافياً لهم... إن إطالة عمر هذه المشكلة، معناه جرح لبنان في كرامته، لأنه سيتأذّى من تعرّضه طويلاً إلى الاذلال. إني أترك لحكمتكم اختيار وسيلة إنهائها بشكل يُرضي كل البلاد. وإني لعلى يقين من أنّ إخلاصكم للقضية اللبنانية، سيدفعكم إلى الاصغاء لصوت شيخ همّه الوحيد، التوفيق بين حبّه لبلاده، وحبّه لفرنسا التي لم ينقطع عن حبّها. وإنطلاقاً من هذه الثقة، ومن هذه العواطف الصادقة، أضع هذه المشكلة بعهدة حكمتكم السامية...».

**١٤ تموز ١٩٢٠**

الياس بطرس الحويك
بطريرك إنطاكية وسائر المشرق

كما أرسل حبيب باشا السعد رئيس مجلس إدارة لبنان برقيةً إلى رئيس جمهورية فرنسا جاء فيها: «إن رئيس مجلس إدارة جبل لبنان، وأعضاء المجلس، يقبّحون عمل بعض زملائهم الذين، دون أن ينتدبهم أحد لذلك، وخلافاً لكل تقاليد أجدادهم، وأماني سكان البلاد التي يمثّلونها، قد خانوا وطنهم بمحاولتهم بيعه، وتسليمه للشريف، عدوّ الأمة اللبنانية الألدّ. وهم يُعربون عن تعلّقهم بفرنسة، وحبهم الثابت لها»(١).

وتواصلت البرقيات من غورو إلى بلاده، وإلى الأمير فيصل، يشنّع فيها عمل هؤلاء «الخونة»، كما يصفهم. والبرقيات المعاكسة من الأمير فيصل، وملك الحجاز، والده حسين، الذي يعتبر

(١) جريدة البشير عدد ٢٥٩٣ تاريخ ١٥ تموز سنة ١٩٢٠.



اعتقالهم جريمةً بصفتهم «ممثّلي الشعب... ولن أسمح لنفسي أن أصدّق كغيري، أن مثل هؤلاء الأعضاء الذين يتّصفون بالقدر الكافي من الاحترام، والنزاهة، أمثال سعد الله الحويك ورفاقه، أن توجّه إليهم هذه التهمة، ولو دقيقة واحدة. إن العصبة (عصبة الأمم الموجّهة إليها البرقية) مسؤولة أدبياً عن هذا الظلم. وإني واثق أنها ستأخذ بعين الاعتبار هذا الطلب العادل».

قصر الغزّة ـ الحسين.

ولما طُلب الأمير أمين إرسلان للشهادة، صرّح «انه شريفي محض، وانه يريد وحدة سوريا، وأنه مختلف مع الأعضاء المذكورين، ويعلم أن المال المدفوع، من رياض الصلح، في الشام، وان لا دخل له قطعياً في المال. وسأله رئيس المحكمة: أليس رياض الصلح إبن وزير داخلية الحكومة الشريفية؟ فأجاب نعم... وأكّد أن سليمان بك كنعان هو الذي قبضها... وبعد التحقيق اعترف سليمان بك انه توجّه لبيت الأمير أمين فوجد على إحدى الطاولات عشرة آلاف ليرة فقبضها، وأعطى كمبيالة بالقيمة... وكان حاضراً الأمير أمين ارسلان، ورياض الصلح...»(١).

وبعد أَخذ شهادات حبيب باشا السعد، ونسيب بك جنبلاط، والمركيز دي فريج، وباترو طراد، وشارل قرم، وأيوب ثابت، وعبد الحليم حجار، وداود عمون، وبطرس بك كرم، ونقولا غصن، والمطران مبارك، والفرد سرسق... صدرت الأحكام التي أشرنا إليها، في ١٩ تموز بالسجن والابعاد والنفي

(١) جريدة «لسان الحال» عدد ٤٣٩ ـ ٨٠٨٩ الاثنين ١٩ تموز سنة ١٩٢٠.

والتجريد من الحقوق المدنية. وكان قد أُحيل الموقوفون إلى **مجلس** حربي فرنسي، وبُدىء بمحاكمتهم من ١٧ إلى ١٩ تموز، **من قبل** رئيس المحكمة، الكولونيل ديفوكريسون. «وكان **للحكم وقعه** الشديد في المهجر، فهبّت جمعيات المغتربين تحتجّ عليه، وفي مقدّمتها «الجمعية اللبنانية» التي ألّفها خيرالله خيرالله في باريس، فكانت لهذه الأخيرة يدٌ بيضاء في بسط القضية على الرأي العام الفرنسي، وعلى برلمانه وحكومته... فأُفرج عن قسم من المنفيّين، بعد أن أجبرهم الجنرال غورو على التوقيع على بيان يندمون فيه على عملهم. أما القسم الآخر فأبى التوقيع على «فعل الندم». وآثر حياة النفي والتشريد...»، والكلام للشيخ بشاره الخوري(١).

## اجتماع سان ريمو بإيطاليا

عقد ممثلو الحلفاء إجتماعاً في سان ريمو بإيطاليا، لوضع معاهدة تنظّم مصير الدول المحرَّرة، ومصير تركيا. ولكن هذه المعاهدة أقرّت استقلال سوريا، ولم تأتِ على ذكر المسألة اللبنانية. وكاد اليأس يتسرّب إلى قلب اللبنانيين، من جرّاء المماطلة بإعلان استقلال البلاد. وراجت الاشاعات حول التصميم على سلخ مدينتي طرابلس وبيروت، أكبر المدن اللبنانية، ومركز النشاط الاقتصادي، عن البلاد. وبدل أن يعود المهاجرون إلى بلادهم، أخذت قوافل الهجرة تتضاعف. وهذا ما حمل الجمعيات، والروابط اللبنانية، في بلدان الاغتراب، إلى مضاعفة جهودها، لإعلان استقلال لبنان، وضمّه إلى جهود البطريرك اللبناني، ومجلس

(١) بشاره الخوري «حقائق لبنانية» الجزء الأول الصفحات ١٠٦ ـ ١٠٧.



الإدارة، والضغط لإنهاء حالة القلق هذه، وتوالت المذكرات المرفوعة إلى مؤتمر الصلح، وعصبة الأمم، والمجلس النيابي الفرنسي، وفيها يظهر إجماع الرأي العام اللبناني، على المطالبة باستقلال البلاد اللبنانية، توطئةً لاستقلال بقية البلدان العربية المحرَّرة.

## وعد بلفور

وفي الوقت الذي كانت فيه شعوب المشرق العربية، تُجهد النفس، للحصول على الاستقلال والسيادة الوطنية، طلع وزير خارجية انكلتر بتصريح يُعرف بوعد بلفور في العام ١٩٢٠، يعد فيه يهود العالم، بانشاء وطنٍ قوميٍّ لهم في فلسطين، قائلاً: «إن دولة جلالة الملك تنظر بعين العطف، لقيام دولةٍ يهودية في فلسطين، على أن لا يؤثّر ذلك من الناحية الدينية والاجتماعية، على باقي الشعوب في فلسطين، وعلى أن لا يؤثر كذلك من الناحية المادية والمعنوية، على اليهود في العالم...» ورغم إدراكه كل النتائج المترتبة على مثل هذا الاعلان، وقيام الدولة اليهودية، لم يتورَّع عن إعلانه. وأصبح هذا الوعد أساساً للمطالبة بالدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨. وكان الانكليز يرمون من وراء ذلك، الى إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وإقامة حكم خاضع لهم على مقربة من قناة السويس، والبحر الأحمر، فيتحكّمون بممرات هذه الطريق الاستراتيجية الهامة، ويمنعون الفرنسيين من الاستفادة منها.

وبمساندةٍ من الحركة الصهيونية العالمية التي كانت ناشطة في العام ١٩٤٨، ولها تأثيرها المادي والمعنوي في بريطانيا المنتدبة على فلسطين، وفي الولايات المتحدة الاميركية التي كانت تطمع هي

الأخرى بالتسلل إلى الشرق، استطاع يهود فلسطين أن يقيموا دولتهم على جزء من الأرض الفلسطينية. وكان عالِمٌ يهودي يدعى وايزمن قد اكتشف مادة «الاسيتون Acétone»، التي ساعدت أميركا في صنع المتفجّرات، وربح الحرب العالمية الثانية، وإكراماً له، ولأمّته، ساهم الأميركيون، وبذلوا نفوذهم، ونشاطاً بارزاً، ودعماً قوياً، لتحقيق وعد بلفور، وإنشاء الدولة الاسرائيلية. والسبب الأهمّ، هو خوفهم من توحّد العرب، كما كان يطالب الأمير فيصل في العشرينات، وتهديد المصالح الغربية في الشرق. وعلى هذا الأساس لم تمانع بقية الدول الكبرى في ذلك، لا سيما وأن الشعب اليهودي المنتشر في أقطارها، لم يكن سهلاً التعاطي معه، والتخلّص من ابتزازه؛ فأجمع الرأي على وجوب دعم اليهود، وتمكينهم من خلق كيانٍ لهم، وسط الدول العربية، ليكون بمثابة الشرطيّ الخاضع لأوامر حكام الغرب ومصالحه.

## معاهدات الصلح

وبعد عدة مؤتمرات للصلح، جرى التوقيع على عدة معاهدات تضبط العلاقة بين دول الحلفاء، وبقية دول العالم، وأهمّها: «مؤتمر الصلح الباريسي»، «معاهدة ڤرساي Versailles» مع ألمانيا، وسان جرمان مع النمسا، ومعاهدة «نيلي Neuilly» مع بلغاريا، ومعاهدة «ترانون Trainon» مع المجر، و«سيڤر، ولوزان، ومودروس، Moderos وLauzanne وSèvres» مع تركيا... هذا بالإضافة إلى معاهدة سان ريمو الأخيرة. وقد وقّعتها جميع الدول المشتركة في الحرب، ما عدا الولايات المتحدة التي رفض «مجلس نوابها - Congress» التوقيع على معاهدات الصلح، ودخول «عصبة الأمم». وأطلق رئيسها ولسن، نداءه الشهير، بإعطاء الشعوب



المغلوبة والمحرّرة، حرية تقرير المصير. وفضّلت أميركا العزلة الخارجية، استناداً إلى مبدأ رئيس الولايات المتحدة مونرو الذي وُضع سنة ١٨٢٣، والقاضي بحياد الولايات المتحدة في النزاع مع أوروبا.

## عصبة الأمم

وفي ٢٨ نيسان سنة ١٩١٩، أُقرّ في مؤتمر باريس، ميثاق «عصبة الأمم». واختيرت جنيف في سويسرا مقرّاً لها. وقد وضعت هذا الميثاق لجنة رباعية مؤلفة من: ولسن رئيس الولايات المتحدة رئيساً، ثم عدل عن الدخول فيها، واللورد روبرت سيسل عن بريطانيا، والجنرال سمطس من جنوب أفريقيا، وليون بورجوا من فرنسا. وقد تألّف ميثاقها من ٢٦ مادة. وكان على رأس أهدافها وبنودها: «تعزيز التعاون الدولي، ومنع وقوع الحرب، واستعمال القوة عند الضرورة لردع المخالفين». وقد استأثرت بالمقاعد الدائمة في هذه المنظّمة العالمية: بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، واليابان. ولكن الكونغرس الأميركي رفض اشتراك أميركا فيها، للسبب الذي أشرنا إليه سابقاً، فأُعطي مقعدها لألمانيا سنة ١٩٢٦، ثم للاتحاد السوفياتي سنة ١٩٣٤. وكانت هذه العصبة تتألف يومذاك، من أمين عام، وست مئة عضو. وقد دخلها إلى جانب هذه الدول: النمسا، المجر، تركيا، المكسيك، ومعظم الدول التي كانت مستقلّةً آنذاك، لأن الدول المستعمرة، والخاضعة للانتداب لم يُسمح لها بدخولها، لأنها لا تملك حقّ التقرير بنفسها، والتصويت بمعزل عن الدول المنتدبة.

وقد نصّت المادة ١٤ من ميثاقها على إنشاء محكمة عدلية

دولية. وقد تمّ إنشاؤها سنة ١٩٢١، للتحكيم بين الدول المتنازعة، وجُعل مركزها لاهاي. وقد ترأسّها فيما بعد لبناني، هو وزير خارجية لبنان، القاضي الكبير فؤاد عمون. كما أُنشئت «هيئة العمل الدولية» التابعة لعصبة الأمم. وكانت جمعية «عصبة الأمم» العمومية تنعقد في شهر أيلول من كل عام. وتقسّم عملها إلى لجان فرعية تتمثّل فيها جميع الدول الأعضاء. وقد انسحبت ألمانيا واليابان سنة ١٩٣٣، وتبعتهما ايطاليا سنة ١٩٣٧؛ فانهارت كلّياً، وتحوّلت إلى حلف عسكري. وخلال سنتين انسحبت ١٧ دولة منها. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، وعجزت عن إيقافها، انهارت تماماً لأنها نقضت أول بندٍ من بنودها، وهو منع وقوع الحرب بين أعضائها.

وقد استُعيض عن «عصبة الأمم» بمنظّمة مشابهة، ولكنها أُعطيت اسماً جديداً، هو «هيئة الأمم المتحدة» التي تمّ إنشاؤها في العام ١٩٤٥، و«مجلس الأمن الدولي» الذي انبثق عنها، وأُعطي الأعضاء الخمسة المنتصرون في تلك الحرب «حق النقض ـ Veto» الذي لا يسمح بمرور أي مشروع لا توافق عليه هذه الدول وهي: الولايات المتحدة ـ فرنسا ـ انكلترا ـ روسيا ـ الصين الوطنية التي استبدلت مؤخّراً بالصين الشعبية.



# الفصل الخامس

# اعلان دولة لبنان الكبير وصك الإنتداب

## الجنرال غورو وإعلان «دولة لبنان الكبير»

ظلّ اللبنانيون يعيشون هاجس الاستقلال، منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٨. وراحوا منذ اليوم الأول لتوقيع الهدنة بين ألمانيا وتركيا والحلفاء، يلحّون لمنحهم هذا الاستقلال الموعود. وفي كل الأمور المصيرية، تلاقي مسيرات الشعوب، عوائق جمة، ولكن المناضلين الشرفاء لا يحيدون عن الخط، ويتابعون مسيرتهم باتجاه الهدف المرسوم، قافزين فوق مصالحهم الخاصة، وحزبياتهم، وانتماءاتهم، لأنها جميعاً تسقط أمام مصلحة الوطن العليا. وعلى هذا الأساس عمل اللبنانيون، رغم التيارات المتعدّدة التي حاولت ثنيهم عن مسيرة الاستقلال، فتارةً بشدّهم إلى محيطهم، وطوراً بعزلهم عن المحيط، وربطهم «بالأم الحنون فرنسا». ولكن لا هؤلاء، ولا أولئك، استطاعوا تغيير مجرى التاريخ.

وفي نهاية الأمر انتصر الحق التاريخي، والطبيعي، وأعلن المفوّض السامي، الجنرال غورو، في ٣١ آب سنة ١٩٢٠، بحضور البطريرك الماروني، صاحب اليد الطولى في هذا الانجاز، ومفتي الجمهورية، وأعيان البلاد، وقادتها العسكريين والمدنيين قيام «دولة لبنان الكبير» قائلاً:

«أمام هؤلاء الشهود جميعاً، شهود آمالكم، ومجهوداتنا، أثناء انتصاراتنا، وبقلبٍ يشاطركم فرحكم، أعلن «لبنان الكبير»، وأحيّيه باسم حكومة الجمهورية الفرنسية، متجلبباً بالقوة والعظمة....».

وهكذا، وبفضل جهود الشرفاء من أبناء لبنان، أصبح العشرة آلاف وأربعماية واثنان وخمسون كيلومتراً مربّعاً، «دولة مستقلّة» تحت الانتداب الفرنسي، باسم «لبنان الكبير»، وبزيادة ٢١٤ ألفاً من اللبنانيين على سكان «جبل لبنان» البالغ عددهم ٤١٤ ألفاً، وبضمّ مدن، بيروت، وصيدا، وصور، وطرابلس، وبعلبك، وسهول عكار، والبقاع، ومرجعيون، ووادي التيم، إلى الجبل اللبناني الصغير، لتؤلّف جميعاً، شعباً وأرضاً: «دولة لبنان الكبير» التاريخية والطبيعية، تلبيةً لمطامح كلّ شعبه من الشمال إلى الجنوب، ومن البقاع إلى البحر. أملاً أن ينعم الشعب اللبناني بالبحبوحة، والاستقرار، فيتخلّى عن الهجرة، والسعي الدؤوب، لكسب لقمة العيش في أوطان الآخرين.

وبانضمام طرابلس وبيروت، «رئتي لبنان الحيّتين»، صار بإمكان هذا البلد أن يتنفّس بسهولةٍ، وينمو، ويتطوّر بسرعة، ليحتلّ مكانته المعهودة في طليعة دول الشرق عمراناً، وحضارة، وإبداعاً.

وهكذا صارت بيروت العاصمة، وأخذت تشقّ طريقها



لتصبح أكبر مدن البلاد. وراحت تؤم مرفأها السفن من كل أقطار الكون، ناقلةً إنتاج العالم بأسره، وحاملةً إليه إنتاج لبنان. وغدا الوطن الصغير على خارطة الكون «الوطن الكبير» على مسرح الشرق الجديد.

## صكّ الانتداب

نصّ صكّ الانتداب الفرنسي على لبنان، أن الدول الكبرى (فرنسا، وانكلترا، والولايات المتحدة، وروسيا) قد «اتفقت على انتداب دولة فرنسا، لإرشاد شعبي سوريا ولبنان في إدارة بلديهما... وأنها اختارت الحكومة الفرنسية لهذا الانتداب... وقد قبلت الحكومة الفرنسية القيام بهذا العمل....»

كما جاء في المادة الأولى: «تضع الدولة المنتدبة خلال ثلاث سنوات دستوراً لسوريا ولبنان، بالاتفاق مع السلطات الوطنية، وينصّ على اتخاذ التدابير التي من شأنها أن تسهّل لسوريا ولبنان سبيل النموّ، والتقدّم المطرّد كدولتين مستقلّتين....».

وتنتهي هذه النصوص، بنصّ حول موافقة جمعية الأمم على كل تعديل يحصل في شروط هذا الصكّ. ولكنها لم تشر إلى مدة هذا الانتداب، ومن يتسلّم السلطات عند انتهائه[١].

ورغم أن إحدى مواد صك الانتداب تُلغي الامتيازات الأجنبية التي كانت ممنوحة لدول العالم في سوريا ولبنان، إلاّ أن الانتداب الجديد، قد احتكر كل الامتيازات لنفسه، وتحوّل إلى شكلٍ من أشكال الحكم المباشر، تماماً كما كان الحكم العثماني، وإن أكثر حضارةً وتمدّناً.

(١) للتوسّع في نصوص صك الانتداب يمكن مراجعة كتاب روبير أبيلا «أطوار الحكم في لبنان» بيروت سنة ١٩٤٣ ص ٥ - ١٢.

## الوجه العسكري والسياسي للانتداب

كان الانتداب الفرنسي على لبنان ذا وجهين: عسكري وسياسي. أما الوجه العسكري، فقد استمرّ سنواتٍ معدودة، أي من العام ١٩٢١ إلى العام ١٩٢٦، وانتهى بإعلان الجمهورية اللبنانية، وتولّي قواته الخاصة أمنه وسلامته. أما الوجه السياسي فقد ظل مهيمناً حتى قيام دولة الاستقلال سنة ١٩٤٣.

وكانت السلطة الفعلية في البلاد محصورةً، حتى بعد اعلان الجمهورية، بالمفوّض السامي الذي يعاونه، حاكم إداريٌّ عام من الفرنسيين، وبعض الإداريين، والمستشارين اللبنانيين. وكان رئيس البلاد هو الواجهة لهذا الانتداب، والذي يحمّل مسؤولية الحكم دون أن يمارسه فعلياً.

وأول المفوّضين الساميين كان فرنسوا جورج بيكو الذي شارك زميله مارك سايكس الانكليزي في وضع بنود الانتداب الذي قرّر شكل الحكم ومصير البلاد. ثم حلّ محله الجنرال غورو.

وفي عهد هذا المفوّض الجديد، ضمّت فرنسا، وفي ٣١ اب سنة ١٩٢٠ بعد إعلان «دولة لبنان الكبير»، إلى حدود «جبل لبنان»، ودولة المتصرفية السابقة، مدن طرابلس وبيروت التي صارت ولأول مرة عاصمةً للبلاد، وصيدا، وصور، والأقضية الأربعة: عكار، والضنيّة، وجبل عامل، والبقاع باستثناء زحلة التي كانت وحدها من مدن البقاع تتبع حكومة جبل لبنان. و«عيّن الحاج عثمان علم الدين ممثّلاً لطرابلس في اللجنة الإدارية التي حلّت محل مجلس الإدارة. ثم عُيّن عبد الحليم الحجار حاكماً إدارياً لطرابلس»[1].

---

(١) سميح الزين - مرجع سابق - صفحة ٣٤٦ - ٣٦٦.



## العلم اللبناني الجديد

ولما استلم الجنرال غورو منصبه، كمفوض سامٍ في لبنان، دعا اللبنانيين لاختيار علمٍ للبلاد، فوقع اختيارهم على علم أبيض تتوسطه أرزة. ولكن المفوّض السامي، ومن ورائه أنصار فرنسا في البلاد، والجمعيات ذات الاتجاه الفرنسي، اختارت العلم الفرنسي بألوانها المثلثة، بإضافة أرزة إلى قسمه الأبيض الأوسط. وظل هذا العلم معتمداً حتى تم رسم علم جديد للبنان في جلسة الاستقلال النيابية الشهيرة، وذلك، في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣. ومن الجمعيات السرية التي أوصت باعتماد علم الانتداب «الجمعية السورية المركزية» التي كان يديرها شكري غانم، والتي كانت تتداول هذا العلم سرّاً قبل رحيل العثمانيين. وقد رُفع لأول مرة علم لبنان الجديد الحالي، فوق سراي بشامون، حيث أنشد المتظاهرون ضد اعتقال زعماء البلاد، وجماهير الشعب، النشيد اللبناني الذي وضعه رشيد نخله ولحّنه وديع صبرا في العشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣. وقد اعتُبر هذا اليوم من كل عام بقرار من وزير التربية الشيخ بطرس حرب سنة ١٩٧٧، عيداً وطنياً وسنوياً للعلم. ولا تزال النسخة الأصلية لرسمة العلم التي وقّع عليها النوّاب، في المتحف اللبناني، والأرزة فيها مرسومة بقلم رصاص لعدم وجود قلم أخضر يومها مع النواب.

## نتائج اعلان دولة لبنان الكبير

وكان لإعلان «لبنان الكبير» عدة نتائج بالغة الأهمية على الصعيد الوطني والاقليمي، بالإضافة إلى ما كانت ترمي إليه فرنسا

من «إيجاد كيان سياسي يشكّل عبر ارتباطه بالداخل الإسلامي العربي، سوقاً استهلاكيةً كبيرةً للاقتصاد التجاري الفرنسي»:[1]

١ - لقد تحوّل لبنان من دولةٍ صغيرةٍ فدراليةٍ يشترك فيها المسيحيون والدروز، إلى دولة تعدّديةٍ تضمّ ست طوائف، أكبرها الموارنة والسُنّة. وقد تراجع فيها دور الدروز بسبب قلة عددهم، بعد نفوذهم الطويل.

٢ - أصبح للمسيحيين في الشرق وطن على رأسه حاكم مسيحي، فتوافدوا إليه، ليجعلوه مقرّاً لهم، ولاستثمار أموالهم فيه، آملين الحرية والاستقرار.

٣ - أوجد نظام لبنان الجديد سبباً للتنازع على السلطة قد يحوّل هذا الوطن إلى مزرعة يجري التسابق بين المسؤولين فيه لابتزازه، وانتزاع حصصهم الوظيفية، والمادية، مما يهدّد بتحويله «إلى نظام طائفي لكيان سياسي»[2].

وربما لأجل هذا المنحى الذي أخذه هذا النظام تعدّدت فيه الانفجارات الطائفية، والصراعات السياسية، التي نعيشها اليوم، والتي أوصلت البلاد إلى حافة الانهيار.

وقد لاقى هذا النظام ارتياحاً لدى فئات كبيرة من الشعب، ولكن في الوقت نفسه، عارضته شريحة كبيرة. ولا سيما في طرابلس التي صعب عليها في بداية الأمر أن تتحوّل من «طرابلس الشام» إلى طرابلس «لبنان». ولكن لم يطل الأمر، حتى تغلّب سكان المدن التي كانت خارج جبل لبنان، على نزعتهم الانفصالية عن الجسم

(١) حسين دكروب في دراسة حول «تنورين» صفحة ٧١ - ٧٢ كلية الآداب الجامعة اللبنانية.

(٢) د. مسعود ضاهر «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية» صفحة ٦١.



اللبناني. وبما أنهم ليسوا عضواً غريباً عن جسم الوطن، فقد تمّ تكيّفهم مع الوضع الجديد بسرعةٍ كبيرة. وراحوا مع سكان الجبل المسيحي والدرزي، يطالبون الفرنسيين بالاستقلال التام، الناجز. وفي طليعة المطالبين برحيل الفرنسيين، كان الموارنة، أبناء «الأم الحنون» فرنسا. وصار الشعار الجامع لمواطني البلاد، على اختلاف طوائفهم ومناطقهم: «الدين لله، والوطن للجميع».

ولكن بعد ما تمّ للشعب اللبناني ما يريد، وتحقّق الاستقلال المنشود، بدل أن يزيد المواطنين رسوخاً في وطنيّتهم ولبنانيّتهم، قد حوّلوا مطالبتهم بالاستقلال إلى «مطالبة بحقوق طوائفهم، مع أنهم كانوا يعارضون التمايز على أساس الدين، حسب ادّعاء المثقّفين المتغرّبين منهم»[1].

## المفوّضون الساميون

حكم لبنان أحد عشر مفوّضاً سامياً خلال ثلاثة وعشرين عاماً، بين إعلان دولة «لبنان الكبير»، والاستقلال اللبناني. وهم:

١ - جورج بيكو: من ٩ نيسان ١٩١٨ إلى ٨ ت١ ١٩١٩.

٢ - هنري غورو: من ٨ ت١ ١٩١٩ إلى ٩ أيار ١٩٢٣.

٣ - مكسيم ويغان: من ٩ أيار سنة ١٩٢٣ إلى ٢ ك١ سنة ١٩٢٥.

٤ - موريس ساراي: من ٢ ك١ سنة ١٩٢٥ إلى ٢ ك٢ ١٩٢٥.

٥ - هنري جوفنيل: من ٢ ك٢ ١٩٢٥ إلى ١٢ ت١ ١٩٢٦.

(١) حسين دكروب «تنورين» - مرجع سابق صفحة ٧٣ نقلاً عن لاين لوهيك في «داود عمون وخلق الدولة اللبنانية» باريس ١٩٧٨ صفحة ٩٦.

٦ - هنري بونسو: من ١٢ ت١ ١٩٢٦ إلى ١٢ ت١ سنة ١٩٣٣.

٧ - داميان دي مارتل: من ١٢ ت١ سنة ١٩٣٣ إلى ١٢ ك٢ ١٩٣٨.

٨ - غبريال بيو: من ١٢ ك٢ ١٩٣٨ إلى ٣٠ ك١ ١٩٤٠.

٩ - هنري دانتز: من ٣٠ ك١ ١٩٤٠ إلى ١٤ تموز ١٩٤١.

١٠ - جورج كاترو (مندوب عام): من ١٤ تموز ١٩٤١ إلى ٩ حزيران ١٩٤٣.

١١ - جان هلّلو (مندوب عام): من ٩ حزيران ١٩٤٣ إلى ٢٢ ت٢ ١٩٤٣.

وانتهى حكم المفوّضين الساميين في اليوم الذي خرج فيه معتقلو راشيا، ليحتفل الشعب بعيد الاستقلال في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣.

## الإدارة اللبنانية في عهد الانتداب، ومجالس النواب

وكان المفوّض السامي، هو الحاكم الفعلي للبلاد، ويعاونه جهاز إداري من الفرنسيين واللبنانيين. وقد أنشأ الجنرال غورو سنة ١٩٢٠ «مجلساً استشارياً» دُعي «اللجنة الإدارية»، ليحل محلّ مجلس الإدارة الذي كان قائماً في عهد المتصرفية. وتمثّل فيها «سبع عشرة طائفة لبنانية بسبعة عشر عضواً». وكان رئيس هذه اللجنة داود عمون، رئيس مجلس الإدارة المنحلّ، في أواخر العهد العثماني.

ثم أنشأ غورو مجلساً تمثيلياً من ٣٠ عضواً في العام ١٩٢١، انتُخبوا من قِبَل شيوخ الصلح، ومخاتير القرى والمدن اللبنانية، بواسطة الاقتراع العام. وكان هذا المجلس أول برلمانٍ لبنانيّ



منتخب، بعد البرلمان الطرابلسي الفينيقي. وقد انتخب هؤلاءِ الممثّلون، أو النواب، حبيب باشا السعد رئيساً لهم. ثم تلاه نعوم لبكي. ثم اميل إدّه.

وكان يساعد المفوّضين الساميين، جهاز إداري رئيسه موظف برتبة «حاكم اداري»، ويعاونه لبناني أو فرنسي، على الوجه التالي:

١ - الأمير مالك شهاب: من أول ت١ ١٩١٨ إلى ٧ منه، والأمير عادل إرسلان.

٢ - حبيب باشا السعد: من ٨ تشرين الأول ١٩١٨ إلى ١٩ منه، والكابتن بوشر.

٣ - الكومندان سيشه: من ٢٠ تشرين الأول ١٩١٨ إلى أواخر آب ١٩٢٠، والكومندان لابرو Labru.

٤ - الكومندان ترابو: من أيلول ١٩٢٠ إلى ١٢ أيار ١٩٢٣.

٥ - أوبوار: من ١٣ أيار إلى حزيران ١٩٢٤.

٦ - الجنرال فندبرغ: من حزيران ١٩٢٤ إلى كانون الثاني ١٩٢٥.

٧ - كايلا (بالوكالة): من كانون الثاني ١٩٢٥ إلى ١٣ أيار ١٩٢٦.

وبعدما تمّ إعلان الجمهورية في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦، صار الحكم بيد رؤساء الجمهورية بدل الحكام الإداريين، على الأقل حسب نص الصلاحيات.

## تعطيل السلطات التشريعية في البلاد

وكان المفوّضون الساميون، كلما خالف الحكام أوامرهم، يلجأون إلى تعطيل الدستور، وحلّ المجلس، وإقالة الرؤساء، والحكام الإداريين. وقد تم حلّ المجلس النيابي أربع مرات، وكان أولها في عهد المفوض السامي ساراي الذي حل المجلس في ١٣ ك٢

١٩٢٤، ودعا لانتخاب ممثّلين جدد أُطلق عليهم اسم «مجلس النواب» ولا تزال هذه التسمية سارية حتى اليوم في لبنان، وفي معظم البلدان. وكان عددهم ثلاثين نائباً. ثم حلّ المفوّض السامي دي جوفنيل هذا المجلس أيضاً وعطّل الدستور، وأجرى انتخابات نيابية جديدة. كما عيّن مجلس شيوخ من ١٦ عضواً. ودعا لانتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية في ٢٦ أيار سنة ١٩٢٦ فانتُخب الرئيس شارل دباس، أول رئيس للجمهورية اللبنانية، بعد ثلاثة أيام من إعلان لبنان جمهورية ديمقراطية في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦. وكان «أول جمهورية من نوعها، تأسست في العالم العربي»[1]. ونص دستورها المستمّد من الدستور الفرنسي على انتخاب رئيس جمهورية، وإقامة وزارة يعاونها في الحكم، مجلسان أحدهما للنواب، والثاني للأعيان. ثم أُلغي مجلس الأعيان أو الشيوخ فيما بعد، بسبب تضارب صلاحياته مع صلاحيات مجلس النواب. وبالرغم من وقف العمل بهذا الدستور، والشوائب الكثيرة التي فيه، وروحه الغربية، فلا يزال معمولاً به حتى اليوم، بعد إجراء تعديلاتٍ طفيفةٍ عليه. وإن كان هذا النظام لا ينصّ على طائفية الرؤساء، إلّا أن التقليد قضى فيما بعد، بانتخاب حبيب باشا السعد ومن بعده، وبأن يكون رئيس الجمهورية مارونياً، ورئيس الوزارة سنياً، ورئيس المجلس شيعيّاً. والوزراء يمثّلون الطوائف الرئيسة الكبرى في البلاد.

## وضع دستور البلاد

شارك مجلس النواب، بتكليف من المفوّض دي جوفنيل سنة

(١) د. فيليب حتّي «تاريخ لبنان» صفحة ٥٩٩.



١٩٢٥، بوضع الدستور للجمهورية الأولى في لبنان. وكُلّف شارل دباس مدير العدلية اللبنانية، والمحامي بترو طراد، والصحافي ميشال شيحا، والفرنسيان سوشيه ولومسياك، بوضع مسوّدة دستور مستوحىً من الدستور الفرنسي. وقد عُرض مشروع هذا الدستور على مجلس النواب في ٩ أيار سنة ١٩٢٦. وأُقرّ، ووضعه دي جوفنيل موضع التنفيذ في ٢٠ أيار ١٩٢٦. وأُبقيت في الدستور صلاحيات واسعة للمفوّض السامي، كتعليق الدستور، ونقض القوانين التي يصدرها مجلس النواب وأعطى المستشارين الفرنسيين حق الرقابة على الحكم. وجعل اللغة الفرنسية، إلى جانب العربية، لغة الحكم الرسمية. ولكنه أهمل إعلان دين الدولة خلافاً لدول المنطقة. كما جُعل العلم الفرنسي المثلّث الألوان، وتتوسطه الأرزة، علماً للبلاد. وتُرك للطوائف أن تهتم برعاية أحوالها الشخصية، حسب أنظمتها الخاصة، في مجال الإرث، والزواج، والطلاق، وما إلى ذلك. وساعد هذا الاستثناء للأحوال الشخصية على إبقاء الشعور بالانتماء إلى الطائفة، نامياً، أكثر من الشعور بالانتماء إلى الوطن. ولولا أُلغيت هذه الثغرات من النظام التأسيسي للبنان، لكان بالإمكان القفز إلى العلمنة بسهولة، ووفّرنا على وطننا، وعلينا، الكثير من الخضّات، والصراعات الطائفية الحاصلة اليوم. هذا بالإضافة إلى القفزة الحضارية الهائلة التي كنا قمنا بها قياساً إلى المحيط. ولم يكن بالإمكان إعادتنا إلى الوراء، لنتشبّث بالأمور الطائفية، كما يحدث اليوم، مع أن الدستور لم ينصّ إطلاقاً على الأمور الدينية، إلّا في المادة التي تقول: «التماساً للعدل والوفاق، وبصورة مؤقتة، عملاً بصكّ الانتداب، تُمثّل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة، وبتشكيل الوزارة، دون أن يؤول ذلك إلى الاضرار بمصلحة البلاد». وانطلاقاً من هذه المادة أخذ

اللبنانيون فيما بعد يتمسّكون بمبدأ التوزيع الطائفي المعروف بـ ٦ و٦ مكرّر، في الوظائف العامة، بحيث حُرمت الكفاءات من الوصول إلى المراكز المناسبة.

## الدعوة للعلمنة والثورات ضد الانتداب

قامت الثورات في طول البلاد وعرضها ضد الانتداب الفرنسي على البلاد. وكانت انطلاقتها من الجنوب، والبقاع، وجبال النصيرية[١]. وذلك بتحريض من الأمير فيصل الذي عُيّن من قبل الحلفاء ملكاً على العراق. بعدما نكث الحلفاء بوعدهم له بتوحيد سوريا تحت قيادته. وانضمّ مسلمو المدن المضمومة إلى لبنان إلى هذا التحرّك. وكان يقف بوجه هذا التحرّك المشبوه «حزب الاتحاد اللبناني»، بقيادة يوسف السودا، وبولس مسعد، الذي أصدر بياناً جاء فيه: «ولدت فكرة في بعض البيئات اللبنانية تهدف إلى ضمّ لبنان إلى سوريا لإدخاله مثلها في الامبراطورية العثمانية. إزاء هذا قررت مجموعة الوطنيين اللبنانيين محاربة الاتحاد المقترح بكل الوسائل التي يملكها....»[٢]. وكان هذا التجمّع يهدف إلى تسليم المثقفين زمام الأمور في البلاد، وجلّهم من المسيحيين. «وأخذ أركانه بمهاجمة الطائفية والدعوة إلى الديموقراطية والعلمنة»[٣]. وكان السكرتير العام لهذه الجمعية في القاهرة، بولس

---

(١) الدكتور فؤاد شاهين صفحة ٩٧ دار الحداثة سنة ١٩٨٠ نقلاً عن مزهر في تاريخه صفحة ٩١٨.

(٢) رابطة الاتحاد اللبناني: L'Alliance Libanaise d'Egypte et la question du liban - le caire 1921. P. 34.

(٣) يوسف السودا «في سبيل الاستقلال» بيروت سنة ١٩٦٧ الصفحات ٢٣٤ - ٢٧٣ - ٣٣١ - ٣٨٠ - ٤٠٠.



مسعد. وإلى جانب هذين التيارين قام الحزب «القومي السوري» بقيادة انطون سعاده الذي كانت طروحاته سياسية على أساس سوريا الكبرى، ومن وجهة نظر علمانية. كما ظهر تيار آخر «قومي لبناني»، أو على الأقل استقلالي، بقيادة إميل اده. وتيار آخر لبناني عربي مشترك بقيادة بشارة الخوري ورياض الصلح، أُطلق عليه اسم «الحزب الدستوري». وهو يدعو للتعاون مع السوريين باعتبار «لبنان المستقلّ ذو وجه عربي».

## التظاهرات والعرائض والثورات

وانتشرت المظاهرات والقلاقل في أرجاء سوريا سنة ١٩٢٥، ولا سيما في حوران وجبل الدروز، وامتدّت إلى وادي التيم في لبنان. وأخذ الفرنسيون يوزّعون الأسلحة على المسيحيين لمساندتهم. وقد شارك بعض المسيحيين في مهاجمة راشيا. وعمّت المظاهرات شوارع صيدا، وبيروت، وطرابلس، مطالبةً بالانفصال عن لبنان، والانضمام إلى سوريا. وانضمّ مواطنو جبل عامل إلى الثورة بحجة إهمال الفرنسيين لهم، واهتمامهم بالمناطق المسيحية.

وقد جاء في إحدى العرائض التي قدّمها الجنوبيون إلى المفوّض السامي: «منذ إلحاقنا بلبنان، ما زلنا نرى الغبن علينا، والغنم له (للبنان). لذلك نطلب فصلنا عن لبنان بانشاء إدارة مستقلة تحت إشراف الدولة المنتدبة»[١].

كما طلب محمد الداعوق نائب بيروت من جمعية «عصبة الأمم»، بواسطة المفوض السامي «أن تؤلّف الأراضي التي ضُمّت

---

(١) مزهر - مرجع سابق، صفحة ٩٦٩.

إلى لبنان دولةً مستقلةً إدارياً، مرتبطةً باتحادٍ لا مركزيٍ مع لبنان القديم (جبل لبنان) وسوريا»[١].

وقد استاء الأرثوذوكس أيضاً من معاملة الفرنسيين للموارنة «وأحجموا عن إظهار الولاء الكامل لدولةٍ كان الموارنة فيها العنصر المسيطر». و«راح المسلمون ينظرون إلى المسيحيين، والكلام للدكتور فؤاد شاهين، على أنهم جسرٌ استعماريٌّ في قلب العالم العربي» في كتابه «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية» صفحة ٩٨ - ٩٩.

أما المثقفون المسيحيون، فكان رأي غالبيتهم أن سياسة الانعزال، والانقسام الطائفي الصريح، لن يُكتب لها أن تعيش، وهي من مخلّفات العصور القديمة. وقد تأثّر المسيحيون بفكر الغرب الداعي إلى العلمنة، بفضل ما تعلّموه على مقاعد مدارس الارساليات الغربية في لبنان.

وعقد أهل الجنوب مؤتمراً بدعوة من كامل بك الأسعد، جدّ رئيس مجلس النواب الأسبق كامل بك الأسعد، في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠ في رأس الحجير، جنوب النبطية، وحضره الشيخ أحمد رضا، وسليمان ظاهر، ومحمد جابر، واسماعيل الخليل، وعز الدين علم الدين، وهم من أعيان الجنوب، وصدر عنهم: «أن المؤتمرين قرروا بالإجماع انضمامهم للوحدة السورية، والمناداة بجلالة الملك فيصل ملكاً على سوريا. ورفض الدخول تحت حماية، أو انتداب الفرنسيين»[٢].

(١) مرجع سابق، صفحة ٩٧٠.

(٢) يوسف السودا - مرجع سابق «في سبيل الاستقلال» صفحة ٢٢٤ بيروت سنة ١٩٦٧ ومصر سنة ١٩١٩.



واصطدم المسلمون بالمسيحيين في الجنوب، إذ أقدم مسلمو جبل عامل على مهاجمة مسيحيّي قرية عين إبل، ومعظم القرى المسيحية الأخرى في جبل عامل، لأنهم كانوا يؤيدون الانتداب الفرنسي. وهوجمت مراكز الجنود الفرنسيين في صيدا وصور والنبطية ومرجعيون. وفرّ كامل بك الأسعد، عندما حاول الفرنسيون القبض عليه، إلى دمشق، فنهبوا داره. وجمع القائد العسكري في جبل عامل، الكولونيل نيجر المسلمين، وأجبرهم على توقيع وثيقة تعهّد «بالتعويض على المسيحيين، ودفع مئة ألف ليرة ذهباً. وإعادة الأمن، وتسليم الهاربين، وعودة المسيحيين إلى قراهم، مع التعويض عليهم... وجمع الحاكم العسكري «شرينيته» هذا المبلغ عنوةً. وقد أجمع أهل جبل عامل على رفض الانتداب الفرنسي، لما قابلوا لجنة كنج - كراين. و«لم يُعقَد مؤتمر سوري، ولا نُظّم اجتماع قومي عربي، إلّا وكان ممثّلوهم في الطليعة، يطالبون بالوحدة السورية، ويجاهرون برفض وضعية بلادهم الحاضرة. ولولا ظروف قاهرة، أضعفت اقتصادياتهم، وطوّحت بأبنائهم للهجرة، طلباً للرزق ما وراء البحار، لما سكتوا على حالةٍ لم تألفها طباعهم، ووضعية شاذة، نفرت منها نفوسهم....»[١]، على حدّ تعبير يوسف السودا.

## تقارير المفوّضين السامين حول موقف اللبنانيين

وقد جاء في التقارير التي رفعها ممثلو فرنسا في لبنان، واستخباراتهم «أن قسماً من مسلمي طرابلس، يؤيد الانضمام إلى الملك فيصل... كما أن أغلبية النخب الإسلامية في بيروت تقف

(١) مرجع سابق صفحة ٢٣٠.

إلى جانب الحكومة الفيصلية في الشام. ومنهم رياض الصلح، ومختار بيهم، وعلي سلام، وعمر الداعوق، وهم من مؤيدي الدعوة الشريفية»[١]. وقد وقّع، والكلام للدكتور عصام خليفة، وجهاء بيروت السُنّة، ومتاولة الجنوب، عرائض تطالب بتنظيم سوريا على أساس الكانتونات، ذات الشكل الديمقراطي في إطار سوريا الفدرالية» (نقلاً عن المؤرخ لوڤان Levant ـ مجلد ١٣ صفحة ١٩٠ ـ مجلد ١٢ صفحة ٢٨٠ ـ مجلد ٩ صفحة ١٦٦).

وقد كتب راشد طبارة في مجلة الحقيقة: «نريد الاستقلال، ووحدة سوريا. ولبنان كان عثمانياً وحرّره فيصل، كما حرّر سوريا كلّها، فلا مناص من بقائه ضمن سوريا. إن المسألة اللبنانية داؤنا الحاضر، والمسألة الصهيونية داؤنا المقبل، والوحدة السورية هي الحلّ الوحيد....»[٢].

وقد جاء في جريدة «لسان الحال» أن من بين الوفود التي بايعت فيصل: «عبد الحسين الصادق عن جبل عامل، وابراهيم أفندي الخطيب عن جنوب لبنان، والشيخ عبد القادر المغربي عن طرابلس، ورضا بك الصلح عن بيروت، ورياض بك الصلح عن صيدا، والأمير أسعد الأيوبي عن مسلمي لبنان»[٣].

## موقف الدروز

إن بعض الزعامات الدرزية، لا سيما الجنبلاطية، والأرسلانية

(١) الدكتور عصام خليفة ـ مرجع سابق صفحة ١٢٧ نقلاً عن ـ E. Levant «Syrie - Liban» V. 9 p. 1.
(٢) جريدة «الحقيقة» عدد ١١٢٦ صفحة ١١ ـ تموز ١٩١٩ وعدد ١١٣٨.
(٣) جريدة «لسان الحال» عدد ٧٧٩٩ في ١٣ أيار سنة ١٩١٩.



والحمادية، كانت مؤيدةً للانتداب الفرنسي، وللاستقلال اللبناني. ولكن هذا لم يمنع «بعض قرى الباروك حيث يظهر بعض السكان ميولاً شريفية»[١]، من تأييد الوحدة مع سوريا.

وكانت جريدة «الحقيقة» لسان حال المتطرفين من المسلمين، ولذا جاء فيها: «إن مسلماً واحداً لا يمكن، ولن يمكن، أن يرضى بما يسمّونه «لبنان الكبير»، إنه سوري، ويسعى إلى وحدة سوريا»[٢].

## موقف السوريين

وقد طالب تاج الدين الحسيني، عام ١٩٢٥، وهو أحد زعماء سوريا باسترداد الأقضية الأربعة: الهرمل ـ بعلبك ـ راشيا ـ حاصبيا. كما طالب بذلك الدكتور شهبندر، وحسن الحكيم، وسعيد حيدر. وكذلك كان موقف الداماد[٣].

وفي العام ١٩٢٧ عُقد مؤتمر قومي في دمشق طالب بالوحدة السورية. وقد شارك فيه عن بيروت عبد الرحمن بيهم، وعبدالله اليافي. وعن طرابلس عبد الحميد كرامه، والدكتور عارف البيسار أحد وجهاء طرابلس، وعارف الرفاعي[٤]. كما عُقد مؤتمر آخر في سوريا جمع ممثّلين عن مختلف مناطق السكن الإسلامي في لبنان وطالب بجعل سوريا دولة واحدة غير مجزّأة، ومستقلة، سيّدة. وعُقد

(١) د. خليفة مرجع سابق نقلاً عن Levant ـ جزء ١٥ صفحة ٨٧.
(٢) جريدة «الحقيقة» ـ عدد ١٥٠ تاريخ ٢٣ كانون الأول ١٩٢٥.
(٣) أمين سعيد «الثورة العربية الكبرى» جزء ٣ سنة ١٩٣٤ صفحة ٣٩٣ و٥١٥.
(٤) د. عصام خليفة ـ مرجع سابق، ص ١٢٩ نقلاً عن أمين سعيد ـ مرجع سابق، ص ٥٣١.

مؤتمر في ١٤ حزيران ١٩٣٦ طالب فيه المسلمون، بلسان رئيس المؤتمر سليم سلام في برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية بإعادة المناطق التي ضُمّت إلى لبنان بالرغم من إرادة سكانها، وبالوحدة السورية الشاملة[1].

وقد احتلّ أهالي صيدا مخافر المنطقة ورفعوا العلم السوري عليها في ٥ تموز ١٩٣٦. وحصل إضراب عام في القرى والمدن الإسلامية اللبنانية، كما أورد تقرير لماريبه Meyrier، وكيل المفوّض السامي دي مارتل، أن في لبنان ١٥٥ ألف شيعي ٩٨٪ منهم مع «لبنان الكبير» الحرّ المستقلّ، تحت الحماية الفرنسية.

وعندما زار الرئيس إميل إدّه طرابلس استقبله المواطنون بهتافات «تحيا سوريا ـ والوحدة السورية». وقد عُيّن خير الدين الأحدب، المعارض الوحيد من النواب للمعاهدة الفرنسية اللبنانية التي تؤيد وحدة لبنان، رئيساً للحكومة.

وبحلول العام ١٩٣٧ أخذت المعارضة الإسلامية للوطن اللبناني تخفّ تدريجياً، ولا سيما بعد الاتفاق على «الميثاق اللبناني» في مطلع عهد الاستقلال، مقابل الاجماع المسيحي الذي أيّد منذ البدء كيان «لبنان الكبير» واستقلاله.

## موقف المسيحيين من الانتداب الفرنسي

أيّد المسيحيون بإجماع فئاتهم إعلان «دولة لبنان الكبير»، واستقلاله، تحت الانتداب الفرنسي. ولكن بعد ممارسة المفوّضين الساميين، والتعدّي على الحريات الشخصية، وحلّ المجلس النيابي،

(١) جريدة «العهد الجديد» صفحة ٥٠١ تاريخ ٢٦ حزيران سنة ١٩٢٨.



وتعطيل الدستور أكثر من مرّة، وهيمنة الفرنسيين على السياسة اللبنانية، وتدخّلهم في كل شاردة وواردة، بحيث أصبح رئيس الدولة، والمؤسسات الحكومية مجرّد مقامات لا سلطان لها إلّا بموجب الرغبة الفرنسية. . . . عندها أخذ المسيحيون يعارضون الوجود الفرنسي في لبنان، ويطالبون باعطاء البلاد استقلالها الكامل، وكانوا السبّاقين إلى رفع لواء العصيان بكتاباتهم، وبمواقفهم في المجلس النيابي، وفي الشارع أيضاً. وهكذا تحوّلت معارضتهم لممارسات الموظفين والمسؤولين الفرنسيين، حيث استشرت الرشوة، والفساد، والمداخلات، إلى مواقف رافضة لاستمرارية نظام الانتداب. وراحوا يطالبون بوجوب انتخاب رئيس البلاد، كما في العراق، لا تعيينه بمرسوم صادر عن المفوّض السامي. وكان من أبرز الشخصيات المسيحية الداعية للاستقلال الكامل: يوسف السودا، وخيرالله خيرالله، وشارل قرم، وميشال شيحا. . . وسواهم. وحاول المفوّض السامي استرضاء الشعب، فدعا المجلس التمثيلي إلى انتخاب رئيس للجمهورية سنة ١٩٢٦، بعد اعلان الجمهورية والتصديق على الدستور. ومع هذا راح الفرنسيون يحلّون مجالس الشعب، كلما وقفت ضدّ رغباتهم. كما أوقفوا مجلّتي «الأرز» لصاحبها الشيخ يوسف الخازن، و«المعرض» لصاحبها ميشال زكور. وراحوا يشدّون الخناق على أحرار البلاد، ومثقّفيها. وقد زادت هذه الضغوط من نقمة الشعب، حتى اندلعت الثورة عليهم في العام ١٩٢٥، وامتدت شرارتها من جبل الدروز في حوران ودمشق وحمص وحماه وحلب، إلى البقاع.

## محاولة زرع الفتنة بين اللبنانيين

وحاول الفرنسيون وضع المسيحيين بمواجهة الدروز الثائرين،

لا سيما بعدما احتل زيد الأطرش حاصبيا، ومرجعيون، وفشل في أخذ راشيا. ولكن اشتداد الضغط الشعبي أرغمهم على إعلان الجمهورية ووضع دستور جديد للبلاد، وإطلاق يد المسؤولين اللبنانيين إلى حدّ ما في الحكم امتصاصاً للنقمة المتزايدة ضدّهم.

## رؤساء جمهورية عهد الانتداب

١ - شارل دباس: من ٢٦ ايار ١٩٢٦ إلى أول كانون الثاني ١٩٣٤.

٢ - حبيب باشا السعد: من ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٤ إلى ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦.

٣ - إميل إدّه: من ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ إلى ٤ نيسان ١٩٤١.

٤ - الفرد نقاش: من ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤١ إلى ١٨ اذار ١٩٤٣.

٥ - أيوب ثابت: من ١٨ اذار ١٩٤٣ إلى ٢١ تموز ١٩٤٣.

٦ - بترو طراد: من ٢٢ تموز ١٩٤٣ إلى ٢١ أيلول ١٩٤٣.

٧ - بشاره الخوري: من ٢٢ أيلول ١٩٤٣ إلى ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ حيث أُعلن استقلال لبنان ولكن الجيش الفرنسي لم يغادر الأراضي اللبنانية حتى ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٦. وقد انتهت ولايته في ١٨ أيلول سنة ١٩٥٢.

وهكذا نلاحظ أن الفرنسيين حاولوا المستحيل لمنع تعديل الدستور، وإعلان استقلال لبنان. وقد اضطرّوا أربعة رؤساء جمهورية إلى التعاقب على الحكم في سنة واحدة.

## الحياة النيابية في جمهورية الانتداب

بعد دعوة المفوّض السامي دي جوفنيل، مجلس النواب



المؤلف من ٣٠ عضواً منتخَباً، ومجلس الشيوخ المعيَّن من ١٦ عضواً، لانتخاب شارل دبّاس، أول رئيس جمهورية في ٢٦ ايار سنة ١٩٢٦، عاد المفوّض السامي هنري بونسو فحلّ المجلس النيابي، وعطّل الدستور، وأقال الوزارة التي عُرفت بحكومة المديرين في ٩ أيار سنة ١٩٣١، ثم دُعي الشعب لانتخاب مجلس جديد في عهد المفوّض السامي دي مارتل في أوائل سنة ١٩٣٣. وفي أواخر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ أصدر المفوّض السامي قراراً بتعيين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية لمدة سنة واحدة. وحدّد عدد النواب بـ ٢٥ نائباً، ١٧ منهم منتخبين، و٨ معيَّنين. وأصدر قراراً آخر بعودة الحياة الدستورية في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٧. ثم حلّ المجلس للمرة الثالثة في ٤ تموز سنة ١٩٣٧، ودعا لانتخاب مجلس جديد من ٦٣ نائباً، ٣٨ منهم موالين و ٢٥ معارضين. وقد تمّ الاتفاق على هذا العدد بين بشاره الخوري زعيم المعارضة آنذاك، والمفوض السامي.

كما تمّ الاتفاق أيضاً على التجديد لزعيم الموالين لفرنسا، الأستاذ إميل إده في رئاسة الجمهورية، ثلاث سنوات أخرى، شرط عدم تدخله في تحديد أسماء النواب[1]. وهو أول رئيس جمهورية منتخب سنة ١٩٣٦، لغاية ١٩٣٩.

وفي ٢١ أيلول سنة ١٩٣٩ حلّ المفوّض السامي غبريال بيو المجلس النيابي للمرة الرابعة في عهد الانتداب. ثم حدّ من صلاحيات رئيس الجمهورية الأستاذ إدّه، وعَيّنَ عبد الله أمين بيهم رئيساً لحكومة المديرين. وكان يشغل وظيفة أمين سرّ الدولة. وصار الحكم يومها شبه عسكريّ. وطلبت فرنسا الهدنة من إلمانيا. ودخل لبنان الحرب

(١) بشاره الخوري «حقائق لبنانية» طبعة ١٩٦٠ جزء أول صفحة ٢٠٢.

إلى جانب إلمانيا ودول المحور، فصارت الطائرات الالمانية تحطّ في مطار رياق.

وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٠ استلم الحكم الجنرال دانتز، ممثّلاً لحكومة فيشي الموالية لألمانيا مكان غبريال پيو وظل لبنان بدون نواب حتى ٢٩ آب سنة ١٩٤٣.

## دخول الحلفاء لبنان في تموز سنة ١٩٤١.

وفي أوائل حزيران سنة ١٩٤١ أرسل الجنرال ديغول، زعيم فرنسا الحرة في لندن، فرقة من القوات الفرنسية تساندها قوة من الجيش الانكليزي لاسترجاع لبنان وسوريا من يد الجنرال ويغان المؤيّد لحكومة فيشي المعيّنة من قبل الألمان الذين احتلّوا باريس سنة ١٩٤١.

وبعد إسقاط المناشير الواعدة بالاستقلال فوق الأراضي اللبنانية، أخذت الطائرات الانكليزية تقصف بيروت، تماماً كما حصل في الحرب العالمية الأولى. بينما تقدّمت فرق من المشاة من جهة مرجعيون والناقورة في ٨ حزيران سنة ١٩٤١. وبعد شهر ونصف من الحصار والمعارك، تمّ توقيع الهدنة بين الطرفين في عكا في ١٢ تموز سنة ١٩٤١. ودخلت جيوش فرنسا الحرة بيروت، بقيادة الجنرال كاترو، في أوائل آب، مع الجنرال سپيرس Spears الانكليزي الذي نقل ديغول من فرنسا إلى لندن على متن طائرته الخاصة، عندما احتل الالمان باريس. وأصبح سپيرس سفيراً واسع الصلاحية لبلاده في لبنان. ثم زار ديغول، رئيس حكومة فرنسا الحرة، لبنان، وأصدر أمراً بتعيين الفرد نقاش رئيساً للدولة. كما وصل إلى بيروت الشيخ تاج الدين حسني الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدولة السورية، وحلّ في قصر الصنوبر بضيافة الجنرال كاترو،



لدراسة الوضع في لبنان وسوريا مع الجنرال ديغول. ثم غادر ديغول لبنان. وصدر القرار بتعيين حكومة برئاسة سامي الصلح. ثم عاد الجنرال ديغول في آب من العام التالي سنة ١٩٤٢ إلى بيروت ليشرف شخصياً على سير الأمور. وفي ١٨ اذار سنة ١٩٤٣ أُقيل الرئيسان الفرد نقاش، وسامي الصلح، وعُيّن أيوب ثابت رئيساً للدولة. ثم خلفه بترو طراد في العام نفسه، فجعل عدد النواب ٥٥ نائباً، ثلاثين مسيحياً، و ٢٥ مسلماً. وهؤلاء انتخبوا بشاره الخوري رئيساً للجمهورية التي أعلنت حكومتها برئاسة رياض الصلح في بيانها الوزاري، في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٤٣، تعديل الدستور، وإلغاء كل مادة تتعارض والاستقلال الكامل للبلاد. وابتدأ عهد الاستقلال الذي سنتحدّث عنه في الصفحات اللاحقة.

وقد عُرف رياض الصلح بميوله العربية، ومواقفه الوطنية في آنٍ معاً. وقد شارك في الوفد السوري الذي فاوض الفرنسيين للوصول إلى عقد معاهدة معهم تحلّ محل الانتداب. ولكن هذه المعاهدة رغم توقيعها من قبل الطرفين، وتوقيع معاهدة لبنانية - فرنسية مماثلة، لم تبصر النور، ولا وُضعت قيد التنفيذ. وكان والده وزيراً للداخلية السورية كما أشرنا سابقاً، في وزارة الأمير فيصل الأولى، في نهاية الحرب العالمية الأولى. وهذا ما ساعده على قيادة تيار معتدلٍ في المجتمع الإسلامي، ونجح في وضعه أُسس «الميثاق الوطني» الذي يُختصر «بلا للشرق ولا للغرب، ونعم للبنان المستقلّ ذي الوجه العربي»، مع الرئيس بشاره الخوري. وعلى أساسه تمّ توحيد الرأي العام اللبناني، والفوز باعلان الاستقلال. ومنذ تلك اللحظة التي صوّت فيها نوّاب لبنان على بيان وزارة الاستقلال صار

الاعتراف من قبل جميع اللبنانيين «بلبنان الكبير»، دولةً سيدةً، ووطناً نهائياً مستقلاً لجميع أبنائه.

## رؤساء حكومة عهد الانتداب

١ - أوغست أديب، من أول حزيران ١٩٢٦ إلى ٥ ايار ١٩٢٧.
٢ - بشاره الخوري، من ٥ ايار ١٩٢٧ إلى ٥ كانون الثاني ١٩٢٨.
٣ - بشاره الخوري أيضاً، من ٥ كانون الثاني ١٩٢٨ إلى ١٠ آب ١٩٢٨.
٤ - حبيب باشا السعد، من ١٩ آب ١٩٢٨ إلى ١٤ ايار ١٩٢٩.
٥ - بشاره الخوري، من ١٤ ايار ١٩٢٩ إلى ١٢ آب ١٩٢٩.
٦ - إميل إدّه، من ١٢ آب ١٩٢٩ إلى ٢٠ اذار ١٩٣٠.
٧ - أوغست أديب، من ٢٥ اذار ١٩٣٠ إلى ٢١ تموز ١٩٣١.
٨ - أوغست أديب أيضاً، من ٢٢ تموز ١٩٣١ إلى ١٠ ايار ١٩٣٢.
٩ - عبد الله بيهم أمين سر دولة، ورئيس حكومة المديرين، من ١٠ ايار ١٩٣٢ إلى ٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٤.
١٠ - خير الدين الأحدب من ٥ كانون الثاني ١٩٣٤ إلى ١٤ اذار ١٩٣٧.
١١ - خير الدين الأحدب أيضاً من ١٤ اذار ١٩٣٧ إلى ١٠ تموز ١٩٣٧.
١٢ - خير الدين الأحدب أيضاً، من ١٠ تموز ١٩٣٧ إلى ٣٠ تشرين الأول ١٩٣٧.
١٣ - خير الدين الأحدب أيضاً، من ١٣ تشرين أول ١٩٣٧ إلى ١٣ كانون الثاني ١٩٣٨.
١٤ - خير الدين الأحدب أيضاً وأيضاً، من ١٣ كانون الثاني ١٩٣٨ إلى ٢١ اذار ١٩٣٨.



وقد اضطُرّ الفرنسيون لتجديد حكومة خير الدين الأحدب خمس مرات في خلال سنة واحدة، لضرب المعارضة الطرابلسية والاسلامية للانتداب الفرنسي، ودولة لبنان الكبير.

١٥ - الأمير خالد شهاب، من ٢١ اذار ١٩٣٨ إلى أول تشرين الثاني ١٩٣٨.
١٦ - عبد الله اليافي، من ١ تشرين الثاني ١٩٣٨ إلى ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٩.
١٧ - عبد الله اليافي أيضاً، من ٢٢ كانون الثاني إلى ٢١ أيلول ١٩٣٩.
١٨ - عبد الله بيهم، أمين سر الدولة من ٢١ أيلول ١٩٣٩ إلى ٩ نيسان سنة ١٩٤١.
١٩ - الفرد نقاش، وأحمد الداعوق وكيل أمانة سر الدولة، من ١٠ نيسان ١٩٤١ إلى ٢٧ تموز سنة ١٩٤٢.
٢٠ - أحمد الداعوق من ٢١ كانون الأول ١٩٤١ إلى ٢٧ تموز ١٩٤٢.
٢١ - سامي الصلح من ٢٧ تموز ١٩٤٢ إلى ١٨ اذار ١٩٤٣.
٢٢ - سامي الصلح أيضاً، رئيس دولة وحكومة، من ١٨ اذار ١٩٣٨ حتى ٢١ تموز سنة ١٩٤٣.
٢٣ - ومن ١ تموز ١٩٤٣ إلى ٢٥ أيلول سنة ١٩٤٣ بترو طراد رئيس دولة الجمهورية اللبنانية، وعبد الله بيهم أمين سر للدولة، وتوفيق لطف الله عواد معاون أمين سر الدولة. وكانت مهمتهم إجراء الانتخابات النيابية التي أسفرت عنها حكومة الاستقلال برئاسة بشارة الخوري للجمهورية، ورياض الصلح للوزارة.

## بنك سوريا ولبنان

حاول الجنرال غورو تنظيم الأمور المالية، فوضع عملة جديدة للتداول، وكانت مشتركة بين لبنان وسوريا. وأعطى الإجازة لاصدارها إلى «بنك سوريا ولبنان». وهو شركة فرنسية كان مركزها في باريس. وضمنت فرنسا هذه العملة. وظلّ هذا البنك يُصدر العملات حتى العام ١٩٦٤، فحلّ «مصرف لبنان المركزي» محلّه.

## دخول الأرمن إلى لبنان

شهد عهد الانتداب قدوم الأرمن النازحين من تركيا، والهاربين من ثورة كمال أتاتورك الذي نقض معاهدة سيڤر Sèvres التي تقضي بإنشاء دولة أرمينيا. وقد لاقى الأرمن من الأتراك، من الاضطهاد بسبب التمايز الديني بين الشعبين، ما جعلهم يهجرون بلادهم إلى لبنان ليعتصموا بهذا الجبل الذي سبقهم إليه، وعبر الأجيال، كلّ المضطهدين في هذا الشرق، من موارنة سوريا الثانية، إلى مردة البيزنطيين، إلى سريان حلب وكاثوليكها، إلى أكراد العراق وإيران... وكل الزعماء الفارين من دولهم، واللاجئين إلى حمى «وطن الحريات، وجبل الطرداء» حسب تحديد الحاكم التركي إسماعيل حقّي بك.

وقد بلغ مجموع المهجّرين الأرمن ثمانين ألفاً. وأصبحوا اليوم مواطنين لبنانيين، يحملون جنسية البلاد، ويتمتّعون بكامل حقوق المواطنية. وقد جرى تجنيسهم حفظاً للتوازن الطائفي بين اللبنانيين، وكي لا تطغى الطائفة الاسلامية على المسيحيين. والأرمني مشهور بأمرين: حبّه للعمل، ونشاطه، ومحافظته على تراثه الأرمني ولغته. والأرمن لا يزالون يأملون بالعودة إلى بلادهم عندما تتحرّر من



طغيان الأمم الأخرى. وقد حوّلتها إتفاقات مؤتمر الصلح إلى ولاية من ولايات الاتحاد السوفياتي. وهي تحاول اليوم الاستقلال، وتقدّم الذبائح على مذبح الحرية، ككل الشعوب الطامحة إلى الاستقلال والحرية.

# الفصل السادس

# الأحزاب والكتل اللبنانية في عهد الانتداب

## الوعد بالاستقلال ودور الأحزاب اللبنانية فيه

قبل دخول الفرنسيين إلى لبنان، وعدوا شعبه بالاستقلال. وأثناء إقامتهم، وخلال انتدابهم، كانت وعود المفوّضين الساميين تتكرّر كلما قامت مظاهرات تطالب بإعطاء هذا الشعب حريّاته واستقلاله. وقد ساهمت الأرساليات الأجنبية التي علّمت تاريخ الثورة الفرنسية، والثورة الأميركية، والحركات التحررية، هذا الشعب، أن يطالب بحقوقه، ويقدّم التضحيات على مذبح الحرية والاستقلال. كما عودة بعض المتخرّجين من مدارس الغرب حيث تتمتّع الشعوب بقدر كبير من الحرية، وتنعم بالاستقلال، قد ساهمت في الإلحاح بطلب خروج الفرنسيين، وإنهاء الانتداب. هذا إلى جانب قيام عدة أحزاب تضمنّت مبادئها التأسيسية، أهدافاً استقلالية. ومن هذه الأحزاب:



### ١ ـ الحزب القومي السوري

رافق قيام الوطن اللبناني وعيٌ سياسي، برز من خلال ممارسة الشعب لشكلٍ، ولو طفيفٍ، من الديموقراطية، عبر الانتخابات النيابية. كما أنّ إطلاق الحريات السياسية سمح للشعب بالانخراط في أحزاب وطنيةٍ، وعالمية. وهذا ما دفع أنطون سعاده لتأسيس حزبٍ «قوميّ ٍ سوري»، يدعو إلى إنشاء وطن عربي موحّد، يضم دولَ «الهلال الخصيب» باسم «سوريا الكبرى». وكان قد رافق والده إلى أميركا الجنوبية وإلمانيا، وتأثر بالفكر الغربي والنازي. وكان والده خليل من جملة المناضلين في سبيل استقلال لبنان، وقيام الوطن السوري المستقلّ، فراح الفتى يكتب العرائض ويساعد أباه في صياغة البيانات. وعاد إلى لبنان حيث ضمّ إليه بعض الشبّان ونظّمهم، وراح يحدّثهم عن أهمية قيام وطن سوري كبير، وحكومة مركزية قوية، فراجت أفكاره بين الناس، ولا سيما في الأوساط الأرثوذوكسية. وكان الانكليز يدعمونه باعتبار أفكاره تناهض الانتداب الفرنسي، سعياً للهيمنة على مخططه في حال نجاحه. وقد أدّى هذا التشجيع للحزب إلى محاولة قلب النظام اللبناني سنة ١٩٤١، ولكنه فشل، فاعتُقل وحوكم، ثم أُعدم بايعاز من حكومة رياض الصلح. وهذا ما دفع القوميين إلى اغتيال هذا الزعيم الكبير عندما كان في زيارة للأردن. ثم حاول هذا الحزب قلب الحكم مرة ثانية في عهد الرئيس فؤاد شهاب، ولكن المحاولة فشلت أيضاً.

### ٢ ـ حزب الكتائب

ابتدأ حزب الكتائب، منظّمةً رياضيةً، ضمّت فيمن ضمّت: ميشال شيحا، وبيار الجميل، وشارل حلو، وسواهم من الشبّان

الرياضيين. ثم حوّلها الشيخ بيار جميّل إلى حزب سياسي سنة **١٩٣٦**. وقد لاقى هذا الحزب إقبالاً شديداً في الأوساط المسيحية، وعلى الأخصّ المارونية. وكان هدفه قيام وطنٍ قوميٍ لبناني حرّ مستقلّ، وكأنه كان يرد على المطالبين بوحدة الهلال الخصيب، أو أية وحدة أخرى، عربية كانت أم غير عربية، و «خاصة مع سوريا»[١]. وهكذا نصّب هذا الحزب نفسه مدافعاً عن استقلالية لبنان في وجه تيارين: تيار العروبة، والوحدة مع سوريا التي كان لها أنصارها الكُثُر في الأوساط الاسلامية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. وهذا ما جعل المسيحيين يُقبلون عليه، بينما أحجم المسلمون عن دخوله.

### ٣ ـ حزب النجادة والكشاف المسلم

كما قامت حركات كشفية في الأوساط الاسلامية، وما لبث بعضها أن تحوّل إلى منظمات، ومنها حزب النجادة الذي أسسه عدنان الحكيم، وراج في المناطق الاسلامية السنّية. وكان يدعو «للعروبة ضمن إطار تقليديٍّ متخلّف» على حدّ ما زعم الدكتور أنيس صايغ في كتابه «الطائفية في لبنان»[٢]. كما قامت عدة منظمات كشفية أبرزها «الكشاف المسلم»، ضمّت عدداً كبيراً من الشباب المسلم في إطار تنظيميّ شكّل نواة للحياة الحزبية في المنطقة الغربية من بيروت، وفي بقية المدن الاسلامية النيابية.

(١) الدكتور فؤاد شاهين ـ مرجع سابق ـ نقلاً عن الدكتور أنيس صايغ في «لبنان الطائفي». دار الصراع الفكري ـ بيروت ١٩٥٥ ص ١٠٥ ـ ١٥٦.
(٢) د. أنيس صايغ. مرجع سابق.



### ٤ ـ القومية العربية

وقد ظهر بين المسيحيين من يدعو لقيام الوطن العربي الكبير، أو ما يُعرف «بالقومية العربية». وكان من أبرز هؤلاء المهندس جورج انطونيوس، صاحب مؤلَّف «يقظة العرب» الذي يعتبر «تاريخ القومية العربية»[١]. وقد راجت هذه الدعوة في الأوساط الاسلامية. ومن زعمائها كان «عبد الحميد كرامي، وسليم سلام، وخير الدين الأحدب، ورياض الصلح، وأحمد الداعوق... وسواهم»[٢].

### ٥ ـ الكتلة الدستورية

وقد وعى الشيخ بشاره الخوري «أهمية الوجود الاسلامي في لبنان، وما يفرضه هذا الوجود من ضرورة التسوية... فحاول جهده للوصول إلى اتفاق (مع أصحاب الدعوة إلى القومية العربية). وكان في وجهة نظره هذه يعكس تفكير ميشال شيحا، وغيره من كبار رجال الأعمال المسيحيين الذين رأوا في الدول العربية المجال لتطبيق نشاطهم الاقتصادي»[٣]. ولم تكن أصابع الانكليز بعيدةً عن الكتلة الدستورية التي ضمّت بعض الأشخاص المحسوبين ضد التيار الفرنسي في الأوساط المسيحية، والمقابل لتيار الكتلة الوطنية الإدارية المساندة له. وقد أُصدرت سنة **١٩٣٤** جريدة «لوجور Le jour» باشراف ميشال شيحا وإدارة شارل عمون، لتكون لسان حال الحزب الدستوري أو الكتلة الدستورية.

(١) د. أنيس صايغ ـ مرجع سابق صفحة ١٠١ وما بعد.
(٢) مرجع سابق.
(٣) الدكتور فؤاد شاهين ـ مرجع سابق صفحة ١٠٠ وما بعد. ووليد حوراني في «تاريخ لبنان الحديث» صفحة ٢١٨ ـ ٢١٩.

وقد حاول الشيخ بشاره الخوري استقطاب المسلمين إلى هذا التجمّع، ففاوض رياض الصلح، وهو أحد أقطاب القوميين العرب، وأسسا معاً «الكتلة الدستورية» التي بدأت نشاطها بإعادة العمل بالدستور الذي علّقه المفوض السامي ١٩٣٢. وقد استقطبت هذه الكتلة الكثير من المسيحيين والمسلمين المثقّفين، ونواتهم الأولى: حسين الأحدب، موسى نمّور، ميشال زكور، وجبران التويني. وكان هدفها محاربة الطغيان على أثر تعليق الدستور، وتعيين شارل دباس رئيساً للدولة إلى أجل غير مسمّى. وراحت تطالب برحيل الانتداب الفرنسي، وبإعلان دولة لبنان المستقل «ذي الوجه العربي»، للتوفيق بين أفكار قطبيها الخوري والصلح. وقد أدّت هذه الأفكار الى قيام ما يعرف «بالميثاق الوطني». وظهرت هذه الكتلة إلى الوجود لأول مرة في أوائل سنة ١٩٣٤.

## الميثاق الوطني

ولا يجوز إغفال هذا التيار السياسي الذي استقطب حوله الكثير من اللبنانيين، والذي صار من الثوابت التي تمسّك بها رجال السياسة فيما بعد، على اختلاف ميولهم، وانتماءاتهم السياسية. ويُختصر هذا الميثاق بكلمتين «لا للشرق، ولا للغرب، ونعم للبنان المستقلّ ذي الوجه العربي». وصارت هذه الكلمات نهج عملٍ لحكوماتنا الاستقلالية فيما بعد، وللبيانات الوزارية وسياسةً خارجيةً وحّدت اللبنانيين وخاصةً المسلمين منهم، وأخذت تشدّهم إلى الوطن اللبناني، بعدما كانوا موزّعي الولاء بين القومية السورية، والقومية العربية، ويعود الفضل في أطلاق هذا المفهوم الذي تحوّل إلى تيار شعبيّ ووطنّي كبير، إلى الزعيمين بشاره الخوري، ورياض



الصلح. وانطلاقاً من هذا المفهوم جرى تقسيم المناصب في مؤسسات الدولة بتعاون المسيحيين والمسلمين. وتركّز التقارب بينهما باعتبارهما شعباً واحداً له نفس المشاعر الوطنية والأهداف. ولم يعد المسيحي يخاف من العروبة، ولا المسلم عاد يشدّه الحنين للانتماء إلى وطن آخر. ثم انضمّ إلى هذه الكتلة، الرئيس كميل نمر شمعون، ابن دير القمر المارونية المتعصّبة لمارونيتها، فأكسبها دفعاً جديداً وكبيراً لا سيما بسبب «الصلة الوثيقة التي تربطه بالسلطات البريطانية في المنطقة»(١).

وقد أحرزت هذه الكتلة نجاحاً كبيراً في انتخابات ١٩٤٣ التي حملت بشاره الخوري إلى رئاسة الجمهوري، ورياض الصلح إلى رئاسة الحكومة، فأعلنا معاً في البيان الوزاري، تطبيق مبادىء «الميثاق الوطني» الشفهي في مجال توزيع المسؤوليات، وجعل رئاسة الجمهورية للموارنة، ورئاسة الوزارة للسُنّة، ورئاسة المجلس للشيعة. وأن «لا يكون لبنان للاستعمار ممراً ولا مقرّاً...». هذا مع حفظ التوازن بين التوجّه العربي« و«تمثيل الطوائف، إلتماساً للعدل والوفاق، كما جاء في الدستور اللبناني، ولا سيما في الوظائف العامة، وتشكيل الوزارة، دون أن يؤدي ذلك إلى الاضرار بمصلحة الدولة»(٢).

ثم أصبح القطب الآخر في هذه الكتلة، كميل شمعون، رئيساً بعد بشاره الخوري. ولكن الأحزاب اللبنانية لم تكن هي الصانعة للرؤساء، بقدر ما كان مطبخ الدول الأجنبية، هو الذي يحضّرهم، ويقدّمهم وجبةً جاهزة، على طاولة المداولات النيابية.

---

(١) الدكتور كمال الصليبي - مرجع سابق - صفحة ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) مزهر - في تاريخه صفحة ١١١٢ و١١٢٥ نقلاً عن الدستور اللبناني.

## ٦ ـ الكتلة الوطنية

وبمقابل الكتلة الدستورية ذات الوجه العربي، قامت «الكتلة الوطنية» ذات الوجه اللبناني، والغربي. وكانت تدعو للتفاعل الحضاري مع الغرب، باعتباره المجال الحيوي، والمدّ الثقافي للأقلية المسيحية في هذا الشرق الاسلامي. ويؤخذ على رئيس هذا التكتّل، الاستاذ إميل اده، أنه قال في أحد تصاريحه الموجّهة، إلى المسلمين العروبيين: «فليذهبوا إلى مكّة، إن لم يعجبهم هذا اللبنان الذي نريد». هذا مع العلم أن الانصاف يقضي بالاعتراف أن هذا الرجل كان أول من طالب الفرنسيين بالرحيل، وأول من ضغط للحصول على وعد بالاستقلال.

أما على الصعيد السياسي المحلّي، فكان تيار الكتلة الوطنية يقوم بمواجهة تيارين، أو تكتّلين هما «الكتلة الدستورية» و«الكتائب اللبنانية». وكل من هذه التكتلات كان يسعى لاستقطاب المواطنين إلى صفوفه، لايصال أكبر عدد ممكن من النواب المؤيدين له إلى البرلمان اللبناني. وقد استمرّ هذا التطاحن بين هذه التكتلات شديداً، حتى سقوط بشاره الخوري سنة ١٩٥٢، وفوز الرئيس كميل شمعون الذي أدخل تياراً جديداً إلى الساحة السياسية قضى على التكتّل الدستوري، وهو تيار «الوطنيين الأحرار».

## ٧ ـ حزب الوطنيين الأحرار

هذا الحزب، هو تكتّل يتمحور حول شخص الرئيس شمعون، ويدور في فلكه. وقد بدأ بالظهور مع تولّيه رئاسة الجمهورية سنة ١٩٥٢، واستطاع الهيمنة على معظم القوى المسيحية الفاعلة، ولا سيما على حساب الكتلة الدستورية التي تلاشى حضورها تماماً.



وقد جمع التيارات الثلاثة الباقية، حلفٌ عُرف «بالحلف الثلاثي»، كان له دوره في إيصال مرشحيه سنة ١٩٦٤ إلى المجلس النيابي وإسقاط التيار الشهابي الذي قام بوصول الرئيس فؤاد شهاب إلى الحكم بعد الرئيس شمعون سنة ١٩٥٨.

## ٨ ـ الأحزاب الأممية والاقليمية

وإلى جانب هذه الأحزاب والتكتّلات المحلية، والداخلية، قامت أحزاب ذات إتجاهات إقليمية، ودولية، لا سيما بعد الاستقلال. وأهمها حزب البعث السوري، والبعث العراقي وكان كلاهما حزباً واحداً من أبرز مؤسسيه المسيحي ميشال عفلق، والحزب الشيوعي اللبناني الذي وجد أرضاً خصبة في الأوساط المسيحية، ولا سيما الارثوذوكسية الكورانية منها. ثم امتدّ إلى الأوساط الشعبية الإسلامية. والحزب التقدّمي الاشتراكي الذي أنشأه الأستاذ كمال بك جنبلاط، وقد عمّ جميع الطوائف والمناطق اللبنانية، بالإضافة إلى الوسط الدرزي الذي ينتمي إليه مؤسسه. وهو ذو جذور تتصل بالاشتراكية الدولية، كالحزب الشيوعي. هذا بالإضافة إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي يرأسه كامل بك الأسعد، والحزب الديمقراطي اللبناني الذي أسسه جوزف مغيزل والدكتور اميل بيطار، وغيرها من الأحزاب الصغيرة ذات الانتشار المحلّي المحدود...

ويبقى اللبناني، رغم انتشار الأحزاب في أوساطه، ميّالاً إلى الاستقلالية والفردية، ولم يمارس حتى اليوم حياةً حزبيةً واعيةً، وصحيحة. فالأحزاب في لبنان، كلّ الأحزاب، تتمحور حول أقطابها المؤسسين، وتؤدّي خدمةً كبيرةً لهم، ولطموحاتهم الشخصية، أكثر مما تؤدي خدماتٍ للوطن. هذا مع العلم أن

الدول الراقية كلّها، يُسيّر الرأي العام فيها، أحزابٌ وتكتّلاتٌ ذات مبادىء تجمع حولها الناخبين والمواطنين الذين قلّما يجتمعون حول أشخاص، إلّا إذا كان هؤلاء الأشخاص من القادة البارزين الذين يعطون تكتلاتهم زخماً، لا تستطيع العقيدة، مهما كانت سامية ومستجيبة لمصالح الناس، أن تعطيه.



# الفصل السابع

# منجزات عهد الإنتداب

## دخول لبنان في عهدة الانتداب الفرنسي

وفي اليوم السابع من تشرين الأول سنة ١٩١٨، رست سفينة فرنسية في مرفأ بيروت تحمل جنوداً تابعين لحكومة فرنسا الحرّة، بعدما كانت طائرات الحلفاء قد قصفت المدينة وأسقطت المناشير، واعدةً باستقلال البلاد، فهبَّ اللبنانيون للترحيب بهم على أمل تحقيق حلمهم المزمن بالحرية والاستقلال. وخلّد الفرنسيون وحلفاؤهم الانكليز، هذا الدخول إلى ديارنا، بنقش تركوه على صخور نهر الكلب، ليكون صفحةً جديدةً من تاريخ هذه البلاد التي كتب لها أن يتصفح أبناؤها تاريخها المخطوط بأيدي الفاتحين، على صخور نهر الكلب.

وفي هذا الوقت بالذات كان الأمير فيصل يدخل لبنان وسوريا، كما أشرنا، على رأس رجاله، باعتباره حليف «الحلفاء»،

والحامل في جيبه حصر الإرث، بانتظار تطويب هذه المنطقة المعروفة بالهلال الخصيب باسمه، وضمّها إلى أملاكه الخاصة.

وعندها تراجعت تركيا عن هذه البلاد، وَعقدت الهدنة مع إلمانيا في جزيرة مودروس تاركةً هذه البلاد التي حكمتها زهاء أربعة قرون، مكتفيةً بحدود دولتها التركية بعدما بسطت سلطانها على البلاد الممتدة من الهند شرقاً إلى المغرب غرباً. وتابعت جيوش الحلفاء تقدّمها حتى ركّزت بيارقها على قمم جبال طوروس.

وعُقد مؤتمر سان ريمو الذي اشرنا إليه، في إيطاليا، وانتُزع صك الانتداب من جيب الأمير فيصل ليُمنح للوريث الشرعي الفرنسي، باعتباره تكبّد الخسائر، وخاض الحروب ليؤمّن «المدى الحيوي» لبلاده، ويفتح أسواق العالم للفائض من إنتاجها. وكما هو ثابت ومعروف، كانت أهداف هذه الحرب العالمية توسّعية إقتصادية، وأبرز غاياتها وقف التضخّم المالي الذي كان يتخبّط فيه الغرب، وبسط نفوذ الدول الكبرى على العالم.

واستاء الزعيم العربي من هذه الخدعة، وتنصّل الدول الحليفة من وعودها، وأعلن عليها الحرب، فاشتبكت جيوشه وبينها لبنانيون، بجنود الفرنسيين في «ميسلون» سنة ١٩٢٠. وسجّل اللبنانيون يومها بطولاتٍ أدهشت المراقبين. ولكن الانتصار كان للجندي الفرنسي المتمرّس بفنون القتال، فدخلت كتائبه دمشق، وثبّتت أقدامها في لبنان وسوريا، عملاً بمعاهدة سيڤر Sèvres التي تعطي فرنسا الحق في الانتداب على لبنان وسوريا، والانكليز صك الانتداب على العراق، والاردن، وفلسطين، ومصر.

وكان صاحب مشروع الانتداب على دول الشرق، وواضع



بنود صكوكه الستة والعشرين، هو هوارد بلسّ، مدير الجامعة الأميركية في بيروت، والذي طُلب لتقديم شهادته في مؤتمر الصلح بباريس. واقترح إنشاء لجنة تحقيق. وفي طليعة تلك البنود التي وضعتها لجنة كنغ - كراين الأميركية للتحرّي عن رغبات الشعب، بطلب من الرئيس الأميركي ولسن: «إستقلال «لبنان الكبير» من صور إلى طرابلس، إستقلالاً تاماً عن سوريا... وإلغاء الامتيازات الأجنبية التي كان معمولاً بها في أيام حكم العثمانيين، واعتبار اللغة الفرنسية والعربية لغتين رسميتين في البلاد، أما لغة التعليم الرسمية في المدارس فهي العربية... وأهم تلك البنود، المادة الثانية والعشرون، والتي تقول: «إن بعض الشعوب التي كانت تحت الحكم التركي سابقاً، قد وصلت إلى طور من التقدّم، يمكن معه الاعتراف بوجودها إحتساباً كأمم مستقلّة، تقدّم لها الدول المنتدبة عليها: النصح والمساعدة، إلى أن تصبح قادرةً على إدارة شؤونها بذاتها. وينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار رغبات هذه الشعوب لدى اختيار دول الانتداب...»[١].

## التنظيمات الفرنسية وسلطة الانتداب

ولكن هذه الدول المنتدبة لم تحدّد مدة انتدابها، وحصرت جميع السلطات في أيديها، واحتكرت جميع مرافق البلاد، وحكمتها حكماً مباشراً. ولما كانت البلاد تعاني أسوأ حالات الانهيار على كافة

(١) فيليب حتّي - مرجع سابق - صفحة ٥٩٤ نقلاً عن:
Editor and Publisher vol. Lv (New York-Dec. 2-1922).

وهـ. هوارد
«The American Ex periment in peace- making...» - «The moslem word» vol 32 p.p. 122-46.

الصعد، فقد باشرت السلطات الفرنسية المنتدبة بتنظيم الادارة والقضاء. ثم راحت تهتم بالمدارس، مشجّعةً الإرساليات الأجنبية، والجامعات التي كانت تعمل في لبنان، لفتح فروعٍ لها في كافة المناطق اللبنانية، ولتعميم العلم، وتمكين أكبر عدد من اللبنانيين الحصول على حدٍّ أدنى من الثقافة. كما اهتمّت بشق الطرق الجديدة، وتوسيع الطرق القديمة، وإصلاح الجسور، وتأسيس «مصلحة للصحة العامة والأعمال الإنشائية»[١].

ولما كان إنتاج الحرير، وزراعة التوت، وتربية دودة القز، هي أهم الموارد اللبنانية التي عليها يتكل الفلاح اللبناني، كان اهتمام سلطات الانتداب كبيراً بها، فراحت تنظّم أعمالها، وتشجّع المواطنين على توسيع نطاق هذه الاهتمامات.

وبالإضافة إلى تحديث الأنظمة اللبنانية التي أشرنا إليها، وضع دستور جديد للبلاد، اهتمّت هذه السلطات بصورة خاصة، بمرفأ بيروت، وجعلته من أهم مرافىء الشرق، لا سيما وأن الفضل يعود في إنشائه إلى شركة فرنسية بين عامي ١٨٨٩ و١٨٩٤. وطبعاً كانت ترمي من توسيع هذا المرفأ زيادة دخلها، ودخل الجمارك التي حصرت إدارتها بالفرنسيين. وكانت عائداتها تغذّي خزينتهم بالدرجة الأولى، إلى جانب الضرائب الأخرى المنوّعة.

كما اهتمّ الفرنسيون بإنشاء قوّات لبنانية - سورية، تأخذ على عاتقها حماية الأراضي اللبنانية، وفرض الأمن والاستقرار في البلاد. وقد سمّت تلك القوات «جيوش الشرق الخاصة».

(١) جان البيرسوريل J.A. Sorel «Le mandat français et l'expansion économique de la Syrie et du Liban»- Paris 1929- p.p. 241-242.



وبعدما أُعلنت حدود «لبنان الكبير»، وتضاعفت مساحة أرضه، وزاد سكانه الثلث، فقد لبنان توازنه السكاني. وبعد أن كان المسيحيون، ولا سيما الموارنة، هم الطائفة المسيطرة، باعتبارهم أكثرية السكان، أصبحت الطوائف الإسلامية تناهز بأعدادها الطوائف المسيحية. وكان هذا التحوّل بالغ التأثير في مجريات الأحداث اللاحقة، وسبباً لعودة المطالبة بإلحاق لبنان بسوريا. ثم أُعلنت الجمهورية اللبنانية في العام ١٩٢٦ كما أشرنا، وصارت «أول جمهورية من نوعها تأسست في العالم العربي»[١].

وصار التوافق بين اللبنانيين، بدعم من الفرنسيين، على أن يكون رئيس الجمهورية مسيحياً، مع أن الدستور اللبناني الموضوع، لم ينصّ على دين رئيس الدولة، بخلاف دول المنطقة. ثم صار التقليد فيما بعد أن يكون مارونياً، باعتبار الموارنة هم الطائفة المسيحية الأكثر عدداً. وأصبح حبيب باشا السعد الماروني، أول رئيس معيّن من الموارنة (١٩٣٤ - ١٩٣٦)، واميل اده، أول رئيس منتخب في العام ١٩٣٦.

ولكن الثورات قامت ضدّ الفرنسيين في سوريا، وابتداءً من حوران وجبل الدروز، وصولاً إلى وادي التيم في لبنان. وأصبح همّ الفرنسيين تثبيت أقدامهم في البلاد، أكثر من اهتمامهم بتحسين أوضاع البلاد، والقيام بالمشاريع العمرانية فيها. وعمّت الأعمال المناهضة لهم معظم مدن سوريا، ولبنان الجنوبي. ولما كان الانكليز قد منحوا العراقيين بعض الحريات التي تخوّلهم الاشتراك في عمليات انتخابية، وفي إدارة البلاد، لذلك أُحرجت السلطات الفرنسية في

(١) حتّي - مرجع سابق صفحة ٥٩٩.

لبنان وسوريا، وطولبت بمعاملة شعبي هذين البلدين بالمثل؛ فاضطُرّت إلى اعلان الجمهورية، ووضع نظام الانتخابات النيابية، والرئاسية، موضع التنفيذ، بدل التعيينات التي كانت تقوم بها لملء هذه المراكز.

## الدخول الانكليزي إلى لبنان

ولما غادر الجنرال ويغان، المفوّض السامي الفرنسي، وخليفته غورو في لبنان، الأراضي اللبنانية لقيادة جيوش الحلفاء، في ربيع سنة ١٩٤٠، «أعلن خليفته بالاتفاق مع المفوّض السامي بيو، ولاءه لحكومة فيشي، وإنهاء جميع الأعمال الحربية ضد المانيا وإيطاليا»[1]. وهذا ما دفع الانكليز إلى توجيه حملة عسكرية إلى لبنان بالتعاون مع الفرنسيين الموالين لديغول، وحكومة فرنسا الحرة، وطرد الفرنسيين الموالين لحكومة فيشي، بعدما ضربت مدن لبنان، وخلال شهر من الحصار، بالقنابل من الأساطيل والطيران.

وحاول الانكليز أثناء توليهم زمام الأمور في لبنان الاهتمام بالشأن الاقتصادي في البلاد لتخفيف أزمة المعيشة الناتجة من التضخّم، فساعدت تدابيرهم بتنشيط الحركة الاقتصادية، وعاد الازدهار إلى البلاد، لا سيما في الحقلين الزراعي والتجاري. وراجت حركة البناء، وفتح المحلّات التجارية، وزراعة الحمضيات والحبوب، ومصانع الحرير، والزيت، والصابون، والخمور. كما أُنشىء خط سكة حديد على طول الساحل اللبناني، فنشطت حركة المواصلات بين دول الشرق، من مصر إلى العراق، مروراً بسوريا ولبنان.

---

(١) حتّي مرجع سابق صفحة ٦٠١.



## عودة السيطرة الفرنسية والوعد بالاستقلال

ولكن فرنسا لم ترضَ بالتخلّي عن لبنان، وأوفدت جورج كاترو ليكون «مفوّضاً فوق العادة»، وممثّلاً للجنرال ديغول، رئيس حكومة فرنسا الحرة، صاحبة الحق الشرعي بالانتداب على لبنان. وباشر فور وصوله، وبالاتفاق مع حكومة بريطانيا، في تشرين الثاني سنة ١٩٤١، بوعد اللبنانيين بمنحهم الاستقلال التام، وإنهاء الانتداب. وهذا ما جعل شهر تشرين الثاني، شهر الاستقلال اللبناني، باعتبار أن وعد كاترو، وخروج معتقلي راشيا، رئيسي الجمهورية والوزارة، والوزراء، قد تمّا في شهر تشرين الثاني.

وكان أول من اعترف باستقلال لبنان، السفير الانكليزي المفوّض في لبنان، والمندوب الأميركي المفوّض، إذْ قدّما، ولأول مرةٍ، أوراق اعتمادهما إلى رئيس الجمهورية اللبنانية بصفته صاحب السلطة العليا في البلاد.

ثم أُعيدت الحياة الدستورية إلى البلاد، وتمّ انتخاب مجلس نيابي جديد، فاز الاستقلاليون فيه بأكثرية كبيرة، في خريف سنة ١٩٤٣. وقد أوصل هؤلاء الشيخ بشاره الخوري، رجل الاعتدال، والعروبة الصافية، والوطنية الواضحة، إلى كرسي الرئاسة. وقد تعاون مع فتى العروبة الأغر، والقطب، والزعيم الإسلامي الكبير، رياض الصلح، للانتقال بلبنان من عهد الانتداب، إلى عهد الاستقلال التام والناجز. وهذا ما سنفصّله في الصفحات اللاحقة.

# الفصل الثامن

# الحرب العالمية الثانية

وقبل الحديث عن مرحلة الاستقلال، لا بدّ من إعطاء لمحة موجزة حول أحداث الحرب العالمية الثانية.

## أسبابها

كان للحرب العالمية الثانية عدة أسباب أبرزها:

١ - رغبة بعض دول أوروبا القوية، وفي طليعتها إلمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وانكلترا، وروسيا، في التوسّع على حساب جيرانها، بحثاً عن أسواقٍ جديدة لتسويق انتاجها.

٢ - إنتشار البطالة بعد قيام النهضة الصناعية في أوروبا والولايات المتحدة الاميركية.

٣ - التدهور الاقتصادي الذي مُنيت به بعض الدول الغربية الحرّة.

٤ - غزو اليابان للصين.

٥ - غزو إلمانيا للدول المجاورة لها، وإقامتها الاحلاف العسكرية مع



إيطاليا والنمسا، وتحويلها ثكناتها إلى مراكز للتدريب والتعبئة، مع العلم أن هناك مبدأً عسكرياً إلمانياً يقول: «إن التعبئة العامة بمثابة إعلان للحرب».

٦ - قيام أنظمة ديكتاتورية وعسكرية في عدة دول أوروبية، ولا سيما في إيطاليا، والمانيا، واسبانيا، وميلها إلى الأعمال العسكرية لحل مشاكلها الاقتصادية.

## الشرارة الأولى

وكانت الشرارة الأولى لإشعال الحرب العالمية الثانية، دخول الجيوش الالمانية إلى النمسا في ١٢ آذار سنة ١٩٣٨، وضمّها قسماً من تشيكوسلوفاكيا إليها باعتبار أن هذه المنطقة، المعروفة بالسوديت، سكانها من الالمان. وللحال سارعت هنغاريا وبولندا لضم المقاطعات التشيكية التي ينتمي سكانها إلى هذين البلدين. واجتمعت دول أوروبا، وبدل ان تقاوم هذا الغزو، غضّت الطرف بحجة أن بعض الدول تحتاج إلى «مدى حيوي» لاستيعاب تقدّمها الاقتصادي، وازدهارها الصناعي.

ولم يكتفِ هتلر، الزعيم الالماني، بهذه المنطقة من تشيكوسلوڤاكيا، بل انتزع من رئيس تشيكوسلوڤاكيا إميل هاشا، إعلاناً يعترف بأن مقاطعتي تشيكيا وسلوڤاكيا، إلمانيتان. وعلى هذا الأساس إنه يطلب الحماية منه. وهذا أعطى احتلاله لهذه الدولة، شرعيةً واجه بها الدول المحتجة على عمله التوسّعي.

## اشتعال نيران الحرب

ثم اتجه هتلر لاحتلال بولندا، فأعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على إلمانيا في ٣ أيلول سنة ١٩٣٩.

وراحت الدول الأوروبية تعقد الاحلاف العسكرية، حتى أصبحت كلّها في وارد الدخول في الحرب. وقام حلف عُرف «بالمحور»، من دول إلمانيا، وإيطاليا، واليابان، بالإضافة إلى الدول التي كانت قد ضمّتها هذه الدول إليها.

وبالمقابل قام حلف من دول: فرنسا، وانكلترا، والولايات المتحدة، عُرف «بالحلفاء»، ثم انضمّت إليه فيما بعد روسيا.

## اتفاق روسيا والمانيا على اقتسام بولندا والدول الأوروبية

وقد جمعت المصالح روسيا وإلمانيا، فاتفقتا في بداية الحرب على اقتسام بولندا. فدخل هتلر العاصمة وارسو في ٢٧ أيلول سنة ١٩٣٩، وتبعته الجيوش الروسية، فاحتلت المناطق الواقعة على حدودها. وتابع الروس طريقهم فاحتلوا فنلنده في آذار سنة ١٩٤٠، بالإضافة إلى لتوانيا، وأستونيا، وقسمٍ من رومانيا. بينما اتجهت إلمانيا إلى النروج فاحتلتها سنة ١٩٤٠، وسيطرت على مناجم الفحم والحديد في البلدان السكندينافية، وبدأ الميزان يميل لصالحها.

وتصدّى الحلفاء للألمان في ميناء دنكرك، ولكنهم هُزموا شرّ هزيمة، بعدما دمّروا للالمان ٢٦٢ سفينة.

وأمام هذه الانتصارات الساحقة، لاحق الألمان الحلفاء المنهزمين وراء خطوط النار، ودخلوا فرنسا من الجنوب. واضطرّت الحكومة الفرنسية الى الانتقال إلى مدينة تور، ثم إلى بوردو في أقصى الشمال. وللحال أقام الالمان حكومةً مواليةً لهم في مدينة «فيشي Vichy» الفرنسية. وهذا ما دفع الجنرال ديغول للالتجاء إلى



لندن على متن طائرة يقودها الجنرال سبيرس، الذي عُيّن سفيراً في لبنان بعد انتهاء الحرب. وهناك أعلن حكومة «فرنسا الحرة»، ووجّه نداءً إلى الضباط الأحرار ليلتحقوا به في فرنسا.

## سقوط باريس بيد الالمان

أما في لبنان، فقد تولّى الحكم الجنرال ويغان المؤيّدالحكومة فيشي. وهكذا سقطت باريس بيد الالمان في ١٤ حزيران سنة ١٩٤٠، قبل شهر واحد من الاحتفال السنوي بعيد إنتصار الثورة الفرنسية. وأعلن الجنرال «بيتان» رئيس حكومة فيشي من الاذاعة، وقف الحرب ضد إلمانيا. ودخل هتلر المتحف الفرنسي، وحطّم اللوحة التي كانت فيه، وتمثّل توقيع إلمانيا على صك الاستسلام في حافلة القطار بحضور الجنرال فوش القائد الفرنسي المنتصر سنة ١٩١٨.

فالدهر يومان، يومٌ لك ويوم عليك. وها هو هتلر اليوم يفرض على الفرنسيين التوقيع على صك الاستسلام في ٢٢ حزيران سنة ١٩٤٠، وبحضوره شخصياً.

## تشرشل يحاول رفع المعنويات

وحاول تشرشل، رئيس وزراء الانكليز، وداهية بريطانيا العظمى، رفع معنويات الحلفاء، فألقى نداءً من الاذاعة تعهّد فيه بمواصلة القتال في كل مكان حتى النصر، و«عدم إلقاء السلاح، مهما غلا الثمن».

وتوالت الهجومات بين الالمان والانكليز، في محاولةٍ من الالمان

للقضاء على المقاومة الانكليزية، وضمان الانتصار، ولكن الانكليز كانو يبادلون الهجومات بالهجومات، ويدكون برلين، والمدن الالمانية الأخرى، حتى أصاب الدولتين خراب عظيم.

## الاتجاه نحو البلقان

ولما أدرك هتلر أن الانكليز لن يُهزموا بسهولة، حوّل أنظاره شطر بلدان البلقان، واستطاعت اليونان، ردّ الهجوم الأول في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٤٠، وهزْم الالمان، بعد المساعدة التي قدّمها لها الانكليز المرابطون في البلاد. ولكن الالمان أعادوا الكرة، واحتلّوا رومانيا، وبلغاريا، وطوّقوا اليونان. ثم هاجموا القوات الانكليزية المرابطة فيها، وكان عددها يربو على الستين ألفاً. فاضطُرّت اليونان إلى الاستسلام في ٢٤ نيسان سنة ١٩٤٠، بعدما تراجعت القوات الانكليزية إلى جزيرة كريت كخطوة أولى. ثم غادرتها بعدما تكبّدت ١٣ ألف قتيل، وأسير.

## اشتعال الحرب في إفريقيا

وقد جرت في الشمال الافريقي عدة مواجهات بين الايطاليين والالمان المتواجدين في ليبيا والمغرب من جهة، والحلفاء المتواجدين في مصر من جهة أخرى.

وكان يقود الانكليز الجنرال ويفل، والايطاليين غرازياني. وقد أسفرت هذه المعارك عن أسر مئة وخمسين ألفاً من الايطاليين. وللحال أوفد الالمان قائدهم الكبير رومل المعروف «بثعلب الصحراء»، لنجدة الايطاليين، فاستطاع إخراج الانكليز من ليبيا، وحصرهم في مصر.



## معركة العلمين

ثم حقق رومل انتصاره الكبير على الانكليز في معركة «العلمين» التي شارك فيها جنود لبنانيون تابعون للجنرال ويغان المؤيّد لحكومة فيشي، في ٢٧ أيار سنة ١٩٤٢.

## دخول روسيا الحرب إلى جانب الحلفاء

ولما أوجست روسيا خيفةً من تقدّم الالمان عند حدودها الغربية على البحر الأسود، وبحر البلطيق، وفي بلاد البلقان، وخطرهم على مستقبل الشيوعية في الغرب، والعالم، وتهديدهم للروس في عقر دارهم، راحت تراسل الحلفاء، ووقّعت معاهدة بالدفاع المشترك في حال تعرّض أيّ من الفريقين للخطر. وسرعان ما أدرك هتلر ما تبيته روسيا، لذلك وجّه مدافعه إلى المناطق الواقعة عند حدودها لجهة البلطيق والبحر الأسود، بمساندة دول المحور. فأعلنت روسيا الحرب عليه، وهبّ الحلفاء لمساندتها. وأعلن تشرشل «أن كل من يعادي هتلر هو صديق للحلفاء، وكل من يؤيّده عدوٌ لهم».

## دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب روسيا

وهبّت الولايات المتحدة لنجدة الاتحاد السوفياتي، وأعلن الرئيس روزفلت إنضمامه إلى الحلفاء، وكأنه كان بانتظار جلاء موقف الروس قبل إعلانه دخول الحرب. وهكذا التقت الشيوعية والرأسمالية في جبهة واحدة، ضد النازية، خوفاً على سقوطهما معاً تحت الجزمة الهتلرية. عندها قرّر هتلر القضاء على «الدب الأبيض»، والارتداد على حلفائه فيما بعد. وأخذت جيوشه تتقدّم،

فيذوب تحت أقدامها، ونيرانها الجليد الروسي، حتى وصلت إلى ضواحي لينينغراد، العاصمة القيصرية القديمة التي كانت تدعى «بطرسبورج». ولم تستطع ملايين الشيوعيين من صدّ الالمان الزاحفين إلى موسكو. عندها أضرم الروس النار في حقول القمح، والمؤسسات، والمنازل. وفككوا الآلات، ومصانع الأسلحة والمواد الغذائية، وشحنوها إلى عمق سيبيريا.

وتجمّدت أصابع الالمان من شدة البرد على الزناد. وفتك الجوع والمرض بهم، بعدما ضُربت خطوطهم الخلفية من الحلفاء، ومنظّمات الأنصار بقيادة الماريشال تيتو، فتى يوغسلافيا الجريء، والذي أخذ على عاتقه قطع خطوط مواصلات الالمان وحلفائهم. وهكذا أخذ النصر يتحوّل إلى هزيمة. وراح هتلر يدكّ بما تبقّى لديه من ذخيرة شوارع لينينغراد، وما تبقّى من موسكو المحروقة، وستالينغراد الباسلة التي استحوذ صمودها إعجاب العالم، بفضل قائدها جوكوف الذي لم يسمح للالمان بهزم الروس في عقر دارهم رغم الحمم التي كانت تتساقط فوق رأسه.

## تراجع الالمان

وبما أن روسيا، كانت، ولم تزل «مقبرة الفاتحين»، منذ عهد بونابرت، فقد اضطر هتلر إلى التراجع، بعدما تجمّد الزيت في آليات جيشه وغدا «الخبز كالحطب، والخمر قوالب من الثلج»، على حدّ ما جاء في مذكّرات أحد الناجين الألمان.

وهكذا تراجع الالمان بعدما دمّروا مدن روسيا الكبرى، تاركين وراءهم زهاء مليون قتيل، وآلاف الأسرى والمفقودين. وبعدما أوقعوا لأعدائهم مليوني قتيل وثلاثة ملايين أسير، ونصبوا



بيارقهم في أعلى قمم جبال القوقاز، وعلى مشارف موسكو وسهول سيبيريا.

وأخذ الألمان يتراجعون بعد تلك الهزيمة، على جميع الجبهات، والحلفاء يلاحقونهم حتى تحوّلوا إلى عقر دارهم.

## دخول اليابان الحرب إلى جانب المحور

وأعلنت اليابان الحرب على الصين، وهاجمتها، بقصد تحقيق حلمها التاريخي على حساب تلك البلاد الواسعة الأرجاء، وهو إنشاء «إمبراطورية الشرق الكبرى». وهبّت الولايات المتحدة لتدافع عن حليفها الصيني الهرم، بقيادة الجنرال ماك أرثر. ولكنها فوجئت بقصف أسطولها وطائراتها في خليج «بيرل هاربر»، حيث كانت ترسو بوارجها، فدُمّرت لها ١٨ سفينة حربية، و١٠٨ طائرات. كما سقط لها في تلك المواجهة المفاجئة نحو ثلاثة آلاف قتيل. واحتلت اليابان بورما والفيليبين والملايو. واستمرّت المعارك حامية الوطيس، بين كرٍّ وفرّ، تسعة أشهر. ثم بدأ اليابانيون بالتراجع بعدها، فاحتل الاميركيون غينيا الجديدة، وجزر سليمان في ٩ شباط سنة ١٩٤٣، وردّوا اليابان إلى داخل حدودها.

## تجدّد المعارك في إفريقيا وحول إيطاليا

وتجدّدت المعارك في الشمال الافريقي، بعد انتصار رومل، واستطاع القائد الأميركي مونتغمري إجتياح ليبيا، وطرابلس الغرب، والشمال الافريقي في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٣. وقد ساعد على تحقيق إنتصار الحلفاء على القائد الالماني الكبير رومل، تدفّق النجدات الأميركية والحليفة بقيادة الجنرال ايزنهاور، والجنرال جورج باتون. وتمكّن هؤلاء من تطهير البلاد المغربية بكاملها من

الالمان وحلفائهم الايطاليين. وسقطت بنزرت في ١٧ تموز سنة ١٩٤٣، ومرفأ مسينا، وطُوّقت إيطاليا نفسها، فنحّي موسوليني عن الحكم، واستلم مكانه القائد بادوليو الذي طلب الهدنة من الحلفاء. عندها هاجم الالمان روما واحتلوها في ١٠ أيلول سنة ١٩٤٣. وفرّ أعضاء الحكومة، والملك الايطالي عمانوئيل، وانضموا إلى الحلفاء. بينما أفرج الالمان عن موسوليني المعتقل، فمضى إلى المانيا وألّف حكومة فيها مناصرةً للالمان.

ولكن الحلفاء استطاعوا استعادة إيطاليا من الالمان، فسقطت بيدهم نهائياً في ٤ حزيران سنة ١٩٤٤. كما وقع موسوليني بيد كتيبة إيطالية، فقضت عليه مع أنصاره، وعرضت جثثهم في شوارع ميلانو.

## استرجاع الدول المحتلة ومحاصرة برلين

ولما دبّ الضعف بالجيش الالماني، بعد خسائره المتواصلة في روسيا، وفي الشمال الافريقي. هبّت الدول المحتلة من إلمانيا لتسترجع استقلالها وتحرّر أراضيها. وفي مقدّمة هذه الدول كانت رومانيا وبلغاريا. ففي ٣١ آب سنة ١٩٤٤ استعيدت بوخارست. كما استعيدت بودابست عاصمة المجر بمساعدة الجيوش الانكليزية، مع أن الألمان أدخلوا سلاحاً صاروخياً جديداً، إلّا أن الحلفاء استطاعوا تدمير قواعد تلك الصواريخ، وأبطلوا مفعولها.

ودخلت جيوش الحلفاء فرنسا، وراحت تحرّرها مدينةً تلو أخرى، بقيادة الجنرال أيزنهاور. والجنرال ديغول على رأس قوات فرنسا الحرة. وهكذا تمّ استرجاع باريس في ٢٥ آب سنة ١٩٤٤، وأُعلنت حكومة فرنسا المؤقّتة. وبحلول أيلول كانت جميع الأراضي الفرنسية قد حُرّرت كما أن القوات الموالية لحكومة فيشي في لبنان



أصبحت تتلقّى الأوامر من حكومة فرنسا المؤقتة، وانضمت إلى الحلفاء.

وأخذ الالمان يتراجعون عن المدن، والمواقع الأوروبية التي كانوا قد احتلوها، حتى باتوا داخل الحدود الالمانية، فلاحقهم الحلفاء إلى عقر دارهم وحصروهم في برلين.

## موت هتلر

وبعد سقوط ڤيينا عاصمة النمسا سنة ١٩٤٥، ووارسو في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٥، تمّت محاصرة الروس من الشمال والجنوب لبرلين، وراح الحلفاء الآخرون يهاجمون برلين من الشرق والغرب، ويقصفونها بقوة، ويضغطون لاستسلامها. بينما قبع هتلر ومعاونوه في مقرّهم، تحت الأرض، رافضين الاستسلام. ولما تأكّد هتلر من سقوط المدينة، وكان بصحبة زوجته وكلبه، وبعض معاونيه، تجرّع السُم وقضى مع زوجته، وكلبه، وجميع من كان معه. وقد تعذّر التعرّف على جثثهم، لأن المقرّ قد دُمّر تماماً. ويُقال أن طبيب أسنانٍ تعرّف إلى جسر كان قد ركّبه في فم هتلر قبل مدة وجيزة. ولكن البعض ظلّ مصرّاً على أن هتلر لازال حيّاً، وسيظهر يوماً لاستعادة مجده الضائع. ومرّ الزمن، ولم يعد هتلر. فالأشخاص يزولون، إنما الأمم تبقى، وتبقى فيها الشعوب الحيّة التي تستعيد عظمتها وعنفوانها مهما هدّت من عزمها المحن والأحداث. وإلمانيا الشعب المتفوّق، قد استعادت اليوم، وبعد مرور عقود معدودة على حربين فاشلتين خاضتهما وكلّفاها الكثير من الأرواح والدمار، عنفوانها السابق، وعمرانها، رغم تقسيمها من قبل الحلفاء إلى ألمانيتين لإضعافها، ثم عادت اليوم لتقف في مقدّمة الأمم الكبرى، من حيث الدخل القومي، ومتانة اقتصادها، وعملتها،

ونظامها الثابت والقوي. وها هي إلمانيا الكبرى، بعد توحيد الالمانيتين تظهر إلى الوجود في العام ١٩٩١، وتفرض نفسها كإحدى الدول العظمى في العالم من جديد.

## صك الاستسلام

وقد حلّ دونتز مكان هتلر الذي وقّع على صكّ الاستسلام في ١٧ آذار سنة ١٩٤٥، دون قيدٍ أو شرط، في مقرّ قيادة أيزنهاور في ريمس، بحضور جميع قادة الحلفاء. وأصرّ الروس على توقيع صكٍّ آخر بحضور قادتهم فوق أنقاض برلين المدمَّرة.

وانتهت الحرب العالمية الثانية، تاركةً وراءها، ملايين القتلى، والمشوَّهين، والمعاقين، واليتامى، والأرامل، والمباني المهدّمة، من أجل غطرسة حاكم لم يرضَ بحدود بلاده، حداً لطموحاته، ونزقه إلى الحكم، والسيطرة، والتسلّط.

## ضرب اليابان بالقنبلة الذرية

وعاندت اليابان، رغم خسارة حلفائها واستسلامهم، فدخل الحلفاء خليج «ليتي»، و«مانيلا» عاصمة الفيليبين في ٤ شباط سنة ١٩٤٥، بعدما كبدوا اليابانيين خسائر فادحة، وقضى الجنرال ماك أرثر على نصف أسطولهم. وتحطّمت ٩ آلاف طائرة، وسقط نحو ٤٠٠ ألف قتيل. لا سيما بعدما أطلق اليابانيون ٣٥٥ طائرة إنتحارية على الأسطول الأميركي في مياه أوكيناوا. ولإنهاء الحرب بسرعة ضرب الاميركيون جزيرة هيروشيما، في ١٣ آب سنة ١٩٤٥، بالقنبلة الذرية، فنتج عنها مقتل ثمانين ألفاً من السكان، وآلاف الجرحى والمعاقين. وتحوّلت مساحة عشرة كيلو مترات مربعة من الجزيرة إلى كتلة نارية لم تبقِ على نبات، ولا على حجر أو بشر.



كما أُلقيت قنبلة ثانية على ناكازاكي فقتلت أيضاً ٧٥ ألف نفس وأسقطت ستين ألف جريح ومشوّه.

وعندها استسلمت اليابان لتضمّد جراحاً عصت على الأطباء، بسبب الاشعاعات النوويّة، والتي مازالت حتى اليوم تنعكس على صحة المصابين، تشوهياً، وإعاقاتٍ، وإتلافاً للخلايا النباتية والبشرية.

وتمّ توقيع وثيقة الاستسلام بين الاميركيين واليابانيين، على متن المدمّرة «ميسوري»، في مياه طوكيو، من قبل الجنرال أيزنهاور، ووزير خارجية اليابان موروسيغيمستو، ورئيس أركان الجيش الياباني أو مازو، وحضور مندوبي الحلفاء.

## حصيلة الحرب العالمية الثانية

وفي إحصاء لنتائج هذه الحرب المدمّرة تبين أن ٦١ دولة اشتركت فيها، و١١٠ ملايين جندي خاضوا غمارها. أما عدد القتلى فبلغ ٥٥ مليوناً (٤٥ مليون منهم في أوروبا)، وبينهم ٢٥ مليون روسي، وسبعة ملايين إلماني. أما الخسارة المادية والجرحى والمشوّهون فلا إمكان لحصرهم وتقديرهم. وبكلمة موجزة إن أوروبا التي كانت ساحة صراع، كان عليها أن تنتظر عشرات السنين لتعيد بناء ما تهدّم من مدنها ومرافقها. وهذا المجهود المهدور، كان ثمناً لغطرسة حاكم، لم يرضَ أن يكون تاجه وسع رأسه، بل وسع قارة بكاملها. وكم أُزهق من الأرواح، وقُدّم من الضحايا من أجل مجدٍ باطلٍ وتاجٍ مزيَّفٍ.

أما على الصعيد السياسي والأجتماعي، فكان من نتيجة هذه الحرب المدمِّرة أن انقسم العالم إلى معسكرين: أحدهما شيوعي بزعامة روسيا، والثاني رأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية.

# الفصل التاسع

# هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربيّة

## نشوء المشاكل العالمية

وبعد الحرب نشأت عدة مشاكل عالمية، أبرزها انقسام الصين إلى صينين، إحداهما شعبية بقيادة ماوتسي تونغ، والثانية وطنية بقيادة تشان كاي شك. كما نشأت مشكلة انقسام كوريا إلى كوريتين شمالية وجنوبية. والقضية الڤيتنامية، وقضايا أخرى ظلّت عالقة فترة طويلة في الحبشة والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا. وإلمانيا نفسها التي قسّمت إلى دولتين: شرقية تتبع روسيا، وغربية تسيطر عليها دول الغرب.

واشتد الصراع بين المعسكرين الشيوعي والغربي الرأسمالي، وانتشرت الأحزاب والمبادىء اليسارية والرأسمالية، المتطاحنة في معظم دول العالم. هذا بالإضافة إلى نشوء القضية الفلسطينية، وسواها من القضايا ذات الاهتمام العالمي. وهذا ما دعا الدول



للتفكير بإيجاد منظمات عالمية تهتم بمثل هذه الخلافات، للحدّ من الصراعات والحروب. وتمّ الاتفاق بين العرب على تأسيس جامعة الدول العربية، وبين دول العالم على إنشاء «هيئة الأمم المتحدة».

## هيئة الأمم المتحدة

وبعدما أثبتت عصبة الأمم التي أُنشئت على إثر الحرب العالمية الأولى عجزها عن وقف الحروب، والخلافات بين الدول، فكّر زعماء الدول الكبرى أن ينشئوا منظّمةً جديدة تكون ذات فاعلية، وتقف حائلاً دون نشوب حربٍ مدمّرة جديدة كالتي مرّت بهم، وأنزلت الخراب والدمار ببلدانهم. وتمّ الاتفاق فيما بينهم على إنشاء «هيئة الأمم المتحدة» بدعوة من الرئيس الاميركي روزفلت، وموافقة رئيس حكومة انكلترا تشرشل، ورئيس دولة روسيا ستالين. واجتمع هؤلاء القادة في «يالطا» في شباط سنة ١٩٤٥، ثم في سان فرنسيسكو في نيسان سنة ١٩٤٥، ووضعوا ميثاق هيئة الأمم المتحدة، ووقّعوا عليه في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٤٥. ويقضي هذا الميثاق بتقاسم النفوذ فيما بينهم، ومراعاة الأمور التالية:

١ ـ المحافظة على السلام الدولي ـ ٢ ـ المساواة بين مختلف الشعوب والبلدان وتنمية علاقاتها ـ ٣ ـ التعاون لحلّ المشاكل ـ ٤ ـ إنشاء عدة مجالس متخصصة في قضايا الأمن والخدمات العامة.

وبعد فتح باب الانتساب إلى هذه الهيئة اشترك فيها حتى العام ١٩٧٣ ثلاث وسبعون دولة، وفي العام ١٩٨٥ بلغت ١٥١ عضواً. ويقوم على رأسها مسؤول برتبة أمين عام. وقد تفرّع منها عدة مجالس أهمها: مجلس الأمن الذي يضم الدول الكبرى الخمس: الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفياتي ـ فرنسا ـ انكلترا ـ

والصين الوطنية التي حلّت محلها الصين الشعبية. ولكلّ دولة من هذه الدول الخمس حق «النقض Veto» وإسقاط المشروع الذي لا يصبح نافذاً إلّا بالاجماع. وهناك ستة أعضاء آخرون يُختارون بالانتخاب لتمثيل الدول الأخرى في هذا المجلس، على رأس هذه المؤسسة مسؤول برتبة أمين عام. ولكن هذا المجلس حتى اليوم لم يستطع منع الدول من تنفيذ مخططاتها. وهو محكوم بالفشل الدائم طالما يتمتّع أعضاؤه من جهة بحق الفيتو، وهم يعجزون عن استعمال القوة لتنفيذ مقرراتهم من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى هذا المجلس، هناك عدة مجالس أخرى منبثقة عن «هيئة الأمم المتحدة» مثل محكمة العدل الدولية، ومنظمة الأغذية والزراعة التي يرئسها حالياً لبناني، هو الأستاذ أدوار صوما. ومنظمة العمل الدولية. ومنظّمة الأونيسكو، واليونيسيف التي تهتم بالأطفال. ومنظمة الصحة العالمية. والمجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يهتم بالأمور الاقتصادية والاجتماعية، والتنمية، والبيئة.

وعلى رأس هذه المجالس عامةً، الأمين العام للأمم المتحدة، المنتخَب من الجمعية العمومية لمدة خمس سنوات. وقد شغل رئاسة الجمعية العمومية في إحدى دوراتها وزير خارجية لبنان الأستاذ شارل مالك. ويعاون الأمين العام نحو خمسة آلاف موظف وجندي من مختلف دول العالم. وقد جُعلت نيويورك مقرّ مجلس الأمن، و«هيئة الأمم»، وجنيف مركز المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ولاهاي مقر محكمة العدل الدولية، وباريس مقرّ منظمة الأونسكو التي تهتم بالشؤون الثقافية، وروما مقر منظمة الأغذية والزراعة.

وأهم إنجازات هيئة الأمم «إعلان حقوق الانسان» وجعله



أساساً للأنظمة المحلية والدساتير في العالم. وقد ساهم بوضع هذه الحقوق اللبناني شارل مالك. وقد ساعدت «هيئة الأمم» في إجلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان وسوريا سنة ١٩٤٦، وفي استقلال اندونيسيا. وأوقفت بعض الصراعات في قبرص، وبين العرب وإسرائيل، وفي أماكن أخرى من العالم.

## ميثاق الجامعة العربية

ولبنان الذي شارك في «هيئة الأمم» منذ ولادتها، شارك أيضاً في تأسيس الجامعة العربية ووضع ميثاقها. وقد تمّ التوقيع على هذا الميثاق في ٢٢ آذار سنة ١٩٤٥. وقد طلب لبنان إدخال بند يخوّل الدول الانسحاب منها عندما ترغب في ذلك، واحترام دول هذه الجامعة لاستقلال الدول الأعضاء الأخرى[1].

وقد نجحت هذه الجامعة في وضع «وثيقة الضمان الجماعي» التي وقّعتها الدول الخمس المؤسسة: لبنان، سوريا، مصر، السعودية، اليمن. وقد أطفأت هذه الجامعة نيران الخلافات العربية في أكثر من مكان وزمان. ولكنها فشلت في وضع حدٍ للحرب العراقية الإيرانية، والأحداث اللبنانية، رغم سعيها الحثيث من أجل ذلك. أما بشأن القضية الفلسطينية فقد حاولت جمع الصفوف، وتوحيد المواقف، وإنشاء الهيئات المساعدة، ولكن جميع هذه الأعمال هي دون المستوى المطلوب، ولم تعطِ أية ثمار إيجابية هامة.

ومهما يكن في أمرها، تبقى المنبر الذي يعطي الحدّ الأدنى من التعاون الذي يجب أن يجمع العرب، ويرغمهم على العودة، على الأقل، إلى مرجعية واحدة لمناقشة شؤونهم المصيرية الهامة.

(١) أحمد موسى «ميثاق الجامعة العربية» القاهرة سنة ١٩٤٨ صفحة ٦١ - ٦٢.

# الفصل العاشر

# حكومة الإستقلال

## الخطوات والوعود الاستقلالية الأولى

تكررت الوعود بالاستقلال من قبل الحكومة الفرنسية نتيجةً للضغوط التي مارسها اللبنانيون المثقفون من خرّيجي الغرب، والجامعات اللبنانية، وممثّلي الشعب وقادتهم. وأول هذه الوعود كان من قبل الجنرال ديغول سنة ١٩٢٠ عند إعلانه دولة «لبنان الكبير». ثم من قبل المفوّض السامي دي جوفنيل عند إعلانه دستور الجمهورية اللبنانية سنة ١٩٢٦. وآخر هذه الوعود كان من قبل الجنرال كاترو في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤١، وقد أكّد فيه الوعود السابقة، ولا سيما عند توقيع جميع اللبنانيين في عهد رئاسة أميل اده، على الاعتراف بانتداب فرنسا سنة ١٩٣٦. ولكن شيئاً من هذه الوعود لم يتحقق. وأصرّ اللبنانيون على مطالبتهم الفرنسيين بتنفيذ وعودهم، وطالبوا «هيئة الأمم» بضمان وعد الجنرال كاترو.



والخطوة العملية الأولى على طريق تحقيق الاستقلال كانت تقديم المفوّض السامي، كما كان يسمّى السفير آنذاك، وممثّل الانكليز الجنرال إدوار سبيرس، والمستر جورج ودسورت مفوّض الولايات المتحدة، أوراق اعتمادهما إلى رئيس الجمهورية اللبنانية. واضطُرّ الجنرال كاترو عندها إلى إعادة الحياة الدستورية إلى البلاد. فباشر رئيس الدولة أيوب ثابت بإحصاء اللبنانيين، وجرى انتخاب ٥٥ نائباً في ١٨ آذار سنة ١٩٤٣، اثنين وعشرين مسلماً، واثنين وثلاثين مسيحياً، ونائب عن الأقليات. وعارض اللبنانيون هذا الاجراء، فأصدر كاترو مرسوماً بحل المجلس وتحديد العدد بثلاثين مسيحياً وخمسة وعشرين مسلماً. وبإقالة أيوب ثابت وتعيين بترو طراد الذي أجرى انتخابات جديدة. ثم اجتمع النواب وانتخبوا الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية في ٢١ أيلول سنة ١٩٤٣.

وكان من نتيجة نجاح عدد كبير من النواب، ذات النزعة الاستقلالية، اشتداد الضغط على الجنرال كاترو لإصدار وعدٍ بالاستقلال في تشرين الثاني سنة ١٩٤١ بالاتفاق مع انكلترا والولايات المتحدة، اللتين أرسلتا سفيريهما لتقديم أوراق اعتمادهما إلى رئيس جمهورية لبنان مباشرةً، ودون المرور بالمفوّض السامي، ولأول مرة في تاريخ الانتداب. وقد انتخب هؤلاء النواب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية.

## البيان الوزاري الاستقلالي

وما أن تسلّم الرئيس بشارة الخوري مهمّاته، وهو المعروف بميوله الاستقلالية، وصلاته الوثيقة مع القيادات الإسلامية ذات

النزعة العروبية، حتى استدعى صديقه رياض الصلح، أحد أبرز زعماء التيار العروبي المطالب بالوحدة مع سوريا، وكلّفه تشكيل الحكومة. وبالتقاء الرجلين على رأس الحكم في لبنان، انتقل الحوار حول مستقبل البلاد من الشارع إلى الدواوين الرسمية. وتمّ الاتفاق بينهما على تضمين البيان الوزاري حلاً للقضية اللبنانية، ينطلق من إعلان الاستقلال اللبناني الذي هو مطلب أكثرية اللبنانيين، ويدعو لأحسن العلاقات الأخوية مع الأخوان العرب. وهكذا يرضى المسيحيون بالتخلّي عن حماية فرنسا، والمسلمون بالتخلّي عن الوحدة مع سوريا. وباختصار كان الموقف الرسمي الذي اتخذه الرجلان يدعو للوقوف على الحياد بين المعسكرين الشرقي والغربي. وقد اختُصر هذا الموقف بعبارة «لا للشرق ولا للغرب»، ونعم للبنان المستقل. وقد علّق الصحافي اللامع جورج نقاش على هذا الشعار بأن «رفضين لا يؤلفان وطناً Deux négations ne font pas une nation». ولكن الوطن تألّف، وقام، ولو على حدٍّ أدنى من قناعة اللبنانيين المعتدلين، بعيداً عن التطرّف والتعصبية. ومع هذا امتعض بعض القياديين المسلمين من عملية تكريس فصل الوطن اللبناني عن الوطن السوري. وتطميناً للخواطر، ومن أجل تهدئة عاصفة القومية العربية التي كانت مستعمرة آنذاك، ضمّن الرئيسان بيانهما الوزاري تعهّداً بتعديل الدستور اللبناني، بما يضمن «استقلال لبنان ذي الوجه العربي».

## ولادة الاستقلال اللبناني

ويشير الرئيس بشارة الخوري في مذكّراته إلى أنه أثناء تعاونه مع الزعيم السنّي رياض الصلح «أصبح الرئيس المسيحي، أكثر



إسلاميةً من رئيس وزرائه السني. وأصبح رئيس الوزارة السنّي، أكثر مسيحيةً من الرئيس الماروني»[1].

كما أن الرئيس عبدالله اليافي كان يستشهد برياض الصلح، وهو يدافع عن استقلال لبنان في وجه الداعين للوحدة مع سوريا، قائلاً: «إننا في لبنان، نصارى ومسلمين، قد ارتضينا حالة لبنان الحاضرة بملء رضانا واختيارنا. وإننا لا نبغي عن هذا الوضع بديلاً... وهذه السياسة التي ارتضاها لبنان لنفسه، قد تمشّت عليها الحكومات اللبنانية جميعها، بدون لبسٍ أو إبهام، حتى أصبحت دستورها في برامجها الحكومية».

وقد اشتهرت كلمة دولة رياض الصلح التي قال فيها: «إن لبنان في وضعه الحاضر هو صنع أيدينا، واننا سندافع عنه ضدّ الشرق والغرب». وقد ورد ذلك في محاضر جلسات مجلس النواب في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤٦[2].

## الخطوط العريضة «للميثاق الوطني»

وُلد الميثاق الوطني الذي كان ثمرة اشتراك الزعيمين بشارة الخوري ورياض الصلح في «كتلةٍ دستوريةٍ» واحدة، ووُضع برنامج سياسيٍّ مشترك لها، على أساس اتفاق شفهي بأن يقبل المسلمون باستقلال لبنان عن سوريا، ضمن حدوده الحاضرة، ويقبل المسيحيون بالمقابل أن يتقاسموا وإياهم المناصب الحكومية والوظيفية. هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي،

(١) بشارة الخوري «حقائق لبنانية» - جزء ثانٍ - صفحة ١٦٢.
(٢) مرجع سابق صفحة ٢٧٦.

والعربي بصورة خاصة، فيحافظ لبنان على حياده، ولا يعادي العرب، ولا ينضمّ إلى وحدة معهم، بل يتعاون معهم إلى أقصى الحدود. ويقول الشيخ بشارة مهندس هذا الميثاق بمعاونة الزعيم رياض الصلح في مذكراته «حقائق لبنانية» حول هذا الميثاق: «وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني (المسلمون والمسيحيون) على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة: استقلال لبنان التام، الناجز، دون الالتجاء إلى حماية من الغرب، أو اتحاد مع الشرق»[1].

## حكومة الاستقلال

وعلى إثر انتخاب الشيخ بشارة الخوري في ٢١ أيلول سنة ١٩٤٣ رئيساً للجمهورية كلّف الزعيم السني رياض الصلح، وزميله في الكتلة الدستورية، بتشكيل وزارة الاستقلال الأولى التي تألّفت من السادة: كميل نمر شمعون، الأمير مجيد إرسلان، حبيب أبي شهلا، عادل عسيران، عبد الحميد كرامي، صبري حماده. ووضعت هذه الحكومة بيانها الوزاري الذي تعهّدت فيه بحذف كل ما من شأنه نقض روح الاستقلال التام في الدستور اللبناني.

وأبرز ما تضمّنه هذا البيان: فصل جميع المرافق والمصالح التي كانت ترتبط بفرنسا، كالجمارك، وإدارة حصر التبغ، وسكة الحديد، ومراقبة الحدود... واعتبارها إدارات خاضعة للحكومة اللبنانية وتحت سلطتها المباشرة.

ونالت الوزارة ثقة النواب في جلسة ٨ تشرين الثاني سنة

(١) بشارة الخوري ـ «حقائق لبنانية» جزء ٢ صفحة ٢١.



١٩٤٣. ونُشرت هذه المقررات في ٩ منه. وكان رئيس الجمهورية قد استقبل ملك يوغسلافيا في ١٠ تشرين الثاني، عندما داهم الجنود الفرنسيون ليلاً الرئيس، والوزراء، بأمر من المفوّض السامي، أو المندوب العام، كما صار يسمّى أخيراً، جان هلّلو، فاعتُقل كُلّ من الرئيس بشارة الخوري، والرئيس رياض الصلح، والوزراء: كميل شمعون، عادل عسيران، عبد الحميد كرامي، في ليل ١٠ ـ ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣، ونُقلوا إلى قلعة راشيا. وظلّ خارج السجن لغيابهم عن منازلهم تلك الليلة، كل من الوزراء: الأمير مجيد ارسلان، صبري حماده، حبيب أبي شهلا. وأعلن هؤلاء الوزراء في الغد حكومة «لبنان الحرّ»، وجعلوا مركزها في بشامون، لتكون بين محازبي وزير الدفاع الأمير مجيد إرسلان، قائد الثورة الشعبية، حتى اطلاق سراح المعتقلين. وكُلّف حبيب أبي شهلا رئاسة الحكومة.

وأفاقت البلاد في الحادي عشر من تشرين الثاني على خبر اعتقال رئيسي البلاد والوزراء، فعمّت المظاهرات العفوية المدن. وأمّت ساحة الشهداء في بيروت جماهير شعبية غفيرة بقيادة حزبي الكتائب والنجادة. وهذا ما أعطى شهادةً جديدةً على تأييد البلاد بجناحيها لنهج الحكومة الاستقلالية الأولى، وشكّل ضغطاً كبيراً للافراج عن المعتقلين. وجرت عدة اصطدامات بين الجنود الفرنسيين والمتظاهرين. واعتُقل الشيخ بيار الجميّل وجرى الضغط عليه من قبل الفرنسيين للتراجع عن تأييده للحكومة، ولكنه رفض الإذعان. وكلّف الفرنسيون إميل إدّه رئاسة الجمهورية، ولكن الشعب رفض هذا التعيين الذي قبله الرئيس اده محافظةً على الشرعية اللبنانية. وتواصلت الاضرابات والمظاهرات، وانشلّت

الإدارة، وتوقّفت الأعمال في كافة مرافق البلاد ومؤسساتها. وراح الرؤساء العرب من جهتهم يوجّهون النداءات، وبرقيات الاحتجاج، والدول الصديقة تضغط على الفرنسيين لإطلاق سراح المعتقلين.

## اجتماع النواب سراً ومتابعة الأعمال الاستقلالية

واجتمع النواب أثناء ذلك سرّاً في مجلس النواب، وعدّلوا ما تبقّى من الأنظمة والقوانين، ورسموا علماً جديداً للبلاد سُلّم لحكومة بشامون، حيث كانت تحتشد الجماهير الشعبية يومياً، وتنشد أمامه النشيد اللبناني الذي وضعه رشيد نخله ولحّنه وديع صبرا. وأقرّ النواب كل التعديلات التي جرى التصويت عليها في البيان الوزاري، ووقّعوا على العلم الجديد كما هو عليه اليوم، وسلّموا هذه الوثائق إلى نائب البترون الأستاذ يوسف ضو الذي هرب بها منسلاً من باب خلفي للمجلس المحاط بالجنود الفرنسيين، وخبّأها في شمعدان داخل كنيسة الكبوشيين القريبة من مبنى المجلس النيابي القائم في ساحة النجمة. وفي جلسة أول كانون الأول سنة ١٩٤٣، وافق المجلس على التعديل الدستوري بتغيير العلم اللبناني.

## إطلاق المعتقلين، وعيد الاستقلال

ونتيجة لضغط المظاهرات، والاضراب العام المفتوح، ومداخلات الدول العربية والغربية، اضطرّ الفرنسيون لإطلاق سراح المعتقلين في سجن راشيا صباح ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ بعد عشرة أيام من اعتقالهم. واحتفل اللبنانيون في اليوم التالي،



ولأول مرة باستقلالهم، واعتبر يوم الثاني والعشرين من تشرين الثاني عيداً سنوياً للاستقلال.

وعرّج المعتقلون في طريق عودتهم إلى بيروت، على بشامون حيث أنشدوا مع حكومتها الحرة، وجماهير الشعب، النشيد اللبناني أمام العلم الجديد. وصار الاستقلال واقعاً ملموساً منذ تلك اللحظة، وإن بقي الجنود الفرنسيون في البلاد حتى الواحد والثلاثين من كانون الأول سنة ١٩٤٦ على الأرض اللبنانية. وما أن غادر آخر جندي فرنسي أرض لبنان، حتى خلّد رئيس البلاد الشيخ بشارة الخوري يوم الجلاء هذا بلوحة تذكارية ضُمّت إلى لوحات نهر الكلب الذي تروي صخوره حكاية هذا اللبنان الذي كان استقلاله حلم الستة آلاف سنة من عمره. وأخيراً تحقّق، وصار الاستقلال واقعاً ملموساً، وتحقّق الحلم الكبير بقيام واستقلال «لبنان الكبير»...!

ولله الحمد والشكران...

# خلاصة البحث

**أولاً**: إن ولادة الوطن اللبناني الكبير لم يكن هبةً من فرنسا، وبقية دول الغرب، بقدر ما كان استجابةً لإرادة اللبنانيين، وحصيلةً للجهاد الطويل الذي مارسه هذا الشعب.

**ثانياً**: كان الفضل الأكبر في الوصول إلى انتزاع اعتراف دول المنطقة والعالم بالكيان اللبناني الجديد، للنخبة المثقّفة من أبنائه وقياداتها الواعية التي لاحقت هذه القضية وانتزعت استقلال بلادها بالقوة من براثن الانتداب.

**ثالثاً**: إن الانتداب الفرنسي، ككل استعمار أبقى البلاد في حالة ضعفٍ بسبب ابتزازه لطاقة هذه البلاد، وتحويله أنظار قادتها عن الاهتمام بالمشاريع الانمائية العامة إلى الاهتمام بالسياسات الضيّقة والنزاعات الشخصية.

**رابعاً**: إن بقاء بعض أبناء لبنان في مدنٍ وولايات يتعلّق



مصيرها بالحكام خارج الحدود، حدّ من الولاء . والانتماء إلى الوطن. وهذا ما جعل قبولهم بالكيان المستقلّ أمراً متعسّراً جداً.

**خامساً**: إن الصلات الطائفية التي كانت تجمع بين سكان المدن والمناطق التي بقيت خارج جبل لبنان، كانت أقوى من الروابط الوطنية؛ ويعود الفضل في إحياء الشعور الوطني وتصويبه عند هذه الفئة من المواطنين، إلى نفر من قادتها الواعين، وفي طليعتهم الزعيم الكبير رياض بك الصلح.

**سادساً**: لم يتمكّن اللبنانيون من انتزاع استقلالهم لولا توحيد صفوفهم ومواقفهم، وتخلّيهم عن التطلّع إلى الخارج، وكُلٌّ إلى الجهة التي تدعم توجّهاته خدمةً لمصالحها الخاصة.

**سابعاً**: إن مصلحة لبنان، وبقاءه يبقى وطناً مستقلاً ومزدهراً، مرتبطان بتوثيق صلاته بجيرانه، ودول العالم كلّها، في إطار من السيادة الكاملة، وعدم التهوّر بدخول الأحلاف، واتخاذ المواقف المناهضة لجيرانه.

**ثامناً**: إن الثوابت اللبنانية التي لا تقبل البحث والمراجعة، هي نهائية هذا الوطن بكيانه الحاضر، ووحدته غير القابلة للتجزئة، وانفتاحه على جميع دول العالم في إطار السيادة والاستقلال.

**تاسعاً**: إن النظام الأفضل للبنان، ليس النظام الطائفي المبني على توزيع المناصب والحصص بين طوائفه ومذاهبه، إنما النظام الحضاري الذي يتخطّى الطائفية إلى المواطنية، باعتبار الولاء يجب أن يكون للوطن وليس لأية مرجعيةٍ أخرى طائفيةً كانت أم فئوية، أم مناطقية.

**عاشراً**: إن الانتماء إلى الوطن اللبناني الواحد، الحر،

الموحّد، والمستقلّ، يفترض الاعتراف بهوية «لبنانية» واحدة تخوّل صاحبها، وكل المواطنين، التمتّع بحقوق واحدة، وتفرض عليهم واجباتٍ واحدة، ليصبح ولاؤهم للوطن الحضاري الواحد.

فلنأخذ من الماضي، ومن دماء الشهداء الصارخة في أرض هذا الوطن، درساً في الوطنية، وعبرةً لصنع المستقبل، ورسم خطوطه وأبعاده. وكفانا انتماءً إلى قبليّتنا المتخلّفة، فالأمم الراقية قد ألقت بهذه العصبيات في سلال المهملات. فلْنَكُنْ صفاً واحداً، ولْنَقُمْ لنواكب ركب الحضارة والتقدّم، ونباهي من جديد أننا أبناء الوطن الذي منح الكون ذات يوم هويّته الإنسانية ونقله من الحظيرة إلى الحضارة.....



# مُلحق حول بعض المراسلات السريّة، والوثائق، إبان الحرب العالمية الأولى

## ١ ـ الوثيقة الأولى: حول الوطن العربي

من جمال باشا إلى الأمير فيصل (بعد كشْفِ الشيوعيين وثائق وزارة الخارجية الروسية القيصرية على إثر معاهدة سايكس ـ بيكو):

«... إن فيصلاً وأباه قد ضلّلتهما الوعود التي أُعطيت لهما باستقلال العرب، وجعلتهما يثوران ضد السلطة العليا في الإسلام، وإنه قد صرّحت القرائن عن أن تلك الوعود محض زور وإفك، لأن النوايا الحقيقية لدى الحلفاء هي اقتسام الأقطار العربية، ووضعها تحت حكم أسياد أجانب، وإن الفرنسيين سيأخذون سورية، والإنكليز العراق، وستُجعل فلسطين دولية، ولم يبق من طريق للعرب سوى أن يعودوا إلى الحظيرة العثمانية، ويكفلوا لأنفسهم حقوقهم المشروعة بالتفاهم مع الأتراك....»[1].

(١) جورج انطونيوس «يقظة العرب» دار العلم للملايين سنة ١٩٨٢، صفحة ٣٥٨.

واختُتمت الرسالة بدعوة فيصل ليحضر بنفسه إلى دمشق، وله الأمان لافتتاح باب المفاوضات.... كما بعث جمال باشا برسالة ثانية تعدد الشروط التي يقبل بها الأتراك المفاوضة، وترمي إلى منح الولايات العربية العثمانية حكماً ذاتياً كاملاً.... ووُقّعت الرسالتان في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٧.

ولم يرد فيصل ولا والده الحسين على هاتين الرسالتين، ورفض التعامل مع العدوّ، ولكنه رجا المندوب السامي في مصر، بعد أن قدّم إليه الرسالتين، أن يأتيه بمضمون هذه الاتفاقية السرية.

وطبعاً جاء ردّ الخارجية البريطانية بنفي «هذه الشائعات المغرضة من قبل الأتراك»، وشكر الحسين على إخلاصه وعرضه عليهم هذه المراسلات، ووعد بالبقاء إلى جانب العرب في كفاحهم من أجل التحرر..

## ٢ ـ وعد بلفور

لقد نشأت بين يهود العالم المتواجدين بكثرة في برلين وفي انكلترا هيئات صهيونية تدعو لقيام دولة يهودية في «أرض الميعاد»، فلسطين. وكانت أهم تلك الهيئات جمعيتين مقيمتين في انكلترا هما: «الجمعية الانكليزية اليهودية» و«مجلس النواب اليهود ـ الانكليز». ويُردّ سبب الدعم الذي لاقاه اليهود من دول الغرب إلى عدة أمور منها: شراؤهم سندات الحرب البريطانية لعامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ لدعم الخزينة البريطانية. واختراع الدكتور وايزمن، كبير علماء اليهود النافذين في انكلترا، وأميركا، مادة «الأسيتون Acétone» التي كانت في أساس تطوير المتفجّرات التي ساعدت على ربح



الحرب، ورغبة الانكليز، وحكام الغرب في مكافأة شعبه، وتلبية طلبهم لإنشاء وطنٍ قوميٍّ لهم. ولكن المؤرخ جورج انطونيوس، يعتبران الدوافع لهذا التأييد كان مردّها إلى رغبة الحكومة البريطانية في كسب العناصر الصهيونية القوية في ألمانيا والنمسا التي كانت تطالب تركيا والمانيا بوعد مشابه لوعد بلفور. والسبب الثاني هو رغبة بريطانيا في شدّ اليهود النافذين في روسيا إليها ليعملوا على استمرار روسيا في الحرب إلى جانب الحلفاء. هذا بالإضافة إلى المصلحة الخاصة التي كانت للإنكليز في انشاء وطنٍ مؤيّدٍ لهم في فلسطين يحمي وجودهم في مصر من جهة، ومن جهة ثانية يفتح أمامهم طريقاً بريةً تصلهم بالشرق[1].

ولما استلم رئاسة الوزارة البريطانية المستر لويد جورج كلّف مارك سايكس، مهندس اتفاقية سايكس ـ بيكو الشهيرة، وموزّع الدول على أقطاب الحلفاء في صك الانتداب، للدخول في مفاوضات مع الصهاينة. فعُقد مؤتمر لندن في ٧ شباط سنة ١٩١٧. وأبلغ الصهاينة الانكليز معارضتهم لتدويل القدس، وطالبوا بجعلها «محمية بريطانية». وهذا ما أدّى إلى إصدار وزير خارجية الانكليز ذلك الوعد الشهير، والمعروف بوعد بلفور. وقد أشرنا إليه سابقاً، وفيه يقول: «إن دولة جلالة الملك تنظر بعين العطف لقيام دولة يهودية في فلسطين على أن لا يؤثر ذلك من الناحية الدينية، أو الاجتماعية، على باقي الشعوب في فلسطين، وعلى أن لا يؤثر ذلك من الناحية المادية والمعنوية على اليهود في العالم....».

وقد دافع الدكتور وايزمن عن الموقف البريطاني، والغاية التي

(١) جورج انطونيوس ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

من أجلها صدر هذا الوعد، بأنه «عندما وافقت الحكومة البريطانية على أن تصدر وعد بلفور المشهور، وافقت عليه بشرط واحد: هو أن لا تكون فلسطين في رعاية بريطانيا العظمى، وضمن مسؤوليتها»[١]. ولكن هذا النفي لا ينطبق على الواقع اطلاقاً باعتراف «الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية» التي توضح مطالب الصهيونيين في مؤتمر لندن بحضور وايزمن نفسه ومارك سايكس، بجعل فلسطين محمية انكليزية.

ولكن أصواتاً يهودية عالمية أخرى كانت تعارض هذا الاتجاه ومنها دافيد الكسندر، رئيس مجلس نواب اليهود البريطانيين، وكلود مونتفيوري رئيس الجمعية اليهودية الانكليزية. وقد طالبا جعل فلسطين «مركز روحي» و«حضاري»، ورفضا الفكرة الصهيونية المطالبة بوطن قومي وسياسي يهودي في فلسطين. وقد تنبأ بأن مثل هذا الوطن «يسم اليهود بوسم الغرباء في أوطانهم لدى العالم كلّه من حيث هم مواطنون في تلك الأوطان». وهذا ما حصل وأجج الحقد اللاسامي ضد اليهود.

ووقف الفرنسيون في بادىء الأمر موقفاً حذراً من إنشاء وطنٍ قوميٍ لليهود في فلسطين، وتمّت موافقتهم بعد مفاوضات طويلة وشاقة على تصريح بلفور، والأميركيون كانوا حذرين أيضاً. وحتى البريطانيون لم يكونوا مقتنعين كثيراً بهذه الفكرة، والتخوّف من عواقبها واضحٌ في نص الوعد المذكور. وقد أوضحوا في سياق الوعد وتفاصيله بأنه «لن يؤتى بعملٍ من شأنه أن يغيّر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في

(١) من تقرير للهيئة التنفيذية في المنظمة الصهيونية مرفوعة إلى المؤتمر الثاني عشر، مجلد أول ـ مطبعة العمل القومي ـ لندن ١٩٢١ ـ وثيقة ٨٨ ـ مرجع سابق، صفحة ٣٧١.



فلسطين، ولا الحقوق، أو الوضع السياسي الذي يتمتّع به اليهود في البلدان الأخرى....».

وقد صدر هذا التصريح المعروف بوعد بلفور عن وزارة الخارجية البريطانية في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧. ولما احتج زعماء العرب على هذا الوعد الصادر من حلفائهم الانكليز، طمأنت الخارجية الانكليزية الشريف حسين والمصريين، والفلسطينيين العرب، بأن «الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به، إلّا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية». وكان هذا الوعد للعاهل العربي شفهياً فدوّنه بيده خطيّاً. ثم أرسل هذا النص مع تعليقه عليه بأنه موافق على ما جاء في هذا التوضيح من قبل الخارجية الانكليزية «بأن استيطان اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب في تلك البلاد. ويحثّهم على أن يستمروا على ايمانهم بعهود بريطانيا العظمى وبجهود أنفسهم لنيل الحرية». وقد أوعز إلى أولاده كي ينقلوا إلى الحكام العرب هذه التطمينات. وأوعز إلى جريدة القبلة الناطقة بلسانه لتنشر مقالة حول هذا الموضوع[١].

وتتابعت البيانات التطمينية بالصدور عن المسؤولين الانكليز، وبالوصول إلى الحكام العرب طيلة الأشهر والسنوات التالية. ومن أجل تطمين الشعوب العربية جرى لصق بيان صادر عن سلطات فرنسا وانكلترا في معظم المدن والقرى العربية، وهو يعِد «بالتحرير التام النهائي للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها، وإقامة حكومات

(١) جريدة «القبلة» مكة ـ العدد ١٨٢ في ٢٣ آذار ١٩١٨.

وإدارات قومية تستمد سلطتها من الاختيار الحرّ، والإرادة المستقلة للأهالي الوطنيين... وتكفلان (السلطتان الفرنسية والبريطانية) حسن سير الحكومات والإدارات التي يختارها الأهالي اختياراً حرّاً»[1].

وتبخّرت الوعود، وكانت خيبة الأمل العربية الأولى، بانزال العلم العربي الذي رفعه شكري الأيوبي ممثّل الأمير فيصل، في لبنان، بطلب من الفرنسيين، وبأمر من الانكليز الممثّلين بالحاكم العسكري العام في الشرق الجنرال اللنبي. وقد ثارت الخواطر من جديد، وكانت الوعود المعسولة من الدول المعنية كافيةً لتهدئة الخواطر.

### ٣ ـ اتفاقية وايزمن ـ فيصل

قد جاء في اتفاقية وايزمن ـ فيصل «أن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل، ممثّل المملكة العربية الحجازية، والقائم بالعمل نيابة عنها، والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية، والقائم بالعمل نيابة عنها، يدركان القرابة الجنسية، والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي، ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدّم الدول العربية وفلسطين. ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما، فقد اتفقا على المواد التالية:

١ ـ يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين، أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص. وللوصول

(١) جورج انطونيوس ـ مرجع سابق، صفحة ٣٨٣.



إلى هذه الغاية تُؤَسَّس... ويحفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كلّ منهما.

٢ ـ تحدَّد بعد إتمام مشاورات السلام مباشرةً الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين من قبل لجنة يُتّفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣ ـ عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تُتَّخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرَّخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ (وعد بلفور).

٤ ـ يجب أن تُتَّخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع، والحث عليها، وبأقصى ما يمكن من السرعة، لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع، والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات يجب أن تُحْفَظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب، ويجب أن يُساعَدوا في سيرهم نحو التقدّم الاقتصادي.

٥ ـ يجب أن لا يُسَنّ نظام، أو قانون، يمنع، أو يتدخّل بأي طريقة في ممارسة الحرية الدينية. ويجب أن يُسمح على الدوام أيضاً بحرية ممارسة العقيدة الدينية، والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفضيل. ويجب أن لا يطالَب قط بشروط دينية لممارسة الحقوق المدنية والسياسية.

٦ ـ إن الأماكن الإسلامية المقدّسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

٧ ـ تقترح المنظّمة الصهيونية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الامكانيات الاقتصادية في البلاد. وأن تقدّم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها. وستضع المنظمة

الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرّف الدول العربية بقصد دراسة الامكانات الاقتصادية في الدول العربية. وأن تقدّم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها. وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية، والامكانات الاقتصادية في البلاد.

٨ ـ يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق، والتفاهم، التامين في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

٩ ـ كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم».

«وُقّع في لندن، في اليوم الثالث من شهر يناير سنة ١٩١٩».

وقد أضاف فيصل هذه التحفظات باللغة العربية تحت الصياغة الانكليزية على الوثيقة ووقّعها مع وايزمن وهي: «يجب أن أوافق على المواد المذكورة أعلاه: بشرط أن يحصل العرب على استقلالهم، كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير ١٩١٩ المرسلة إلى وزارة خارجية بريطانيا العظمى. لكن إذا وقع أقّل تعديل، أو تحويل فيجب أن لا أكون عندها مقيّداً بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة، لا شأن، ولا قيمة قانونية لها، ويجب أن لا أكون مسؤولاً بأية طريقة مهما كانت»[1].

**فيصل بن حسين**

**حاييم وايزمن**

(١) جورج انطونيوس نقلاً عن «الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين» مجموعة أولى ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ صفحة ٢٧٦. نشرة الدكتور د. هـ ميللر

D. H. Miller, «My Diary at the conference of Paris» vol. 3.



كانت هذه الاتفاقية العُربون المسبق لتسلّم حكم الدول العربية، ولكن الوكيل الأصلي الانكليزي والفرنسي عن صاحب الملكية لم يوقّع هذا السند، فلم تتمّ الصفقة.

## ٤ ـ ملخّص لاتفاقية سايكس ـ بيكو صاحبة مشروع صك الانتداب

لقد جرى تبادل عدة وثائق يتضمّن مجموعها اتفاقية انتداب الفرنسيين والانكليز على منطقة الشرق الأدنى، التي تقاسم حكمها الانكليز والفرنسيون. وأهم بنودها بإيجاز، ما يلي:

**أولاً:** إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ ـ A) داخلية سوريا، و(ب ـ B) داخلية العراق، المبيّنتين في الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق، ويكون لفرنسا في منطقة (أ) (سوريا ولبنان)، ولانكلترا في منطقة (ب) (فلسطين ـ الأردن ـ العراق ـ مصر)، حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية. وتنفرد فرنسا في منطقة (أ)، وانكلترا في منطقة (ب)، بتقديم المستشارين، والموظفين الأجانب بناءً على طلب الحكومة العربية.

**ثانياً:** يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (سوريا الساحلية أي لبنان وسوريا)، ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة، أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة، أو حلف الحكومات العربية.

**ثالثاً:** تُنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يُعينّ

شكلها بعد استشارة روسيا، وبالاتفاق مع بقية الحلفاء، وممثّلي شريف مكة.

**رابعاً:** تنال انكلترا ما يأتي:

١ - ميناء حيفا وعكا.

٢ - يُضمن مقدار محدود من ماء دجله والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب)، وتتعهّد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدّماً.

**خامساً:** تكون اسكندرونه ميناءً حرًّا للتجارة الامبراطورية البريطانية، ولا تُنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء. . . . وتكون حيفا ميناءً حرًّا لتجارة فرنسا ومستعمراتها، والبلاد الواقعة تحت حمايتها، ولا يقع اختلاف في المعاملات. . . .

**سادساً، وسابعاً:** كيفية تنظيم خطوط مواصلات السكة الحديد ومرورها بين المناطق أ وب.

**ثامناً:** تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء، والمنطقتين أ وب. فلا تضاف أي علاوة على الرسوم، ولا تُبدَّل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين. . إلا أن يكون باتفاق الحكومتين. ولا تُنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه. وما يُفرَض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة إلى الداخل يُدفَع في الميناء، ويعطى لإدارة المنطقة المرسَلة إليها البضائع.

**تاسعاً:** من المتَّفق عليه أن الحكومة الفرنسوية لا تُجري مفاوضة في أي وقت للتنازل على حقوقها، ولا تعطي ماالها من



الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى، إلّا للدولة، أو حلف الدول العربية، بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا في ما يتعلّق بالمنطقة الحمراء.

**عاشراً:** تتفق الحكومتان الانكليزية، والفرنسوية، بصفتهما حاميتين للدولة العربية، على أن لا تمتلكا، ولا تسمحا لدولة ثالثة أن تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشيء قاعدةً بحريةً في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي. على أن هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن، قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير.

**حادي عشر:** تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها، لتعيين حدود الدولة، أو حلف الدول العربية.

**ثاني عشر:** من المتَّفق عليه، عدا ما ذُكر، أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

وقد تبودلت هذه المذكرات التي يشكل مجموعها اتفاقية سايكس - بيكو نسبةً إلى المفوّضَين، أو السفيرَين، الانكليزي مارك سايكس، والفرنسي جورج بيكو، في لبنان. وقد جرى تبادلها في لندن في التاسع والسادس عشر من أيار، بين السر إدوار جراي، والسفير الفرنسي م. بول كامبون. وهذه الوثيقة هي ترجمة الأستاذ **جورج انطونيوس من الأصل الفرنسي الذي وضعت فيه، إلى الانكليزية عن الأصل الفرنسي المنشور في:**

A. Giannini, Documenti per la storia della pace orientale, Rome 1933.

وقد أثبت المؤلف هذا النصّ العربي، والخريطة الملحقة به في كتابه «يقظة العرب» - دار العلم للملايين سنة ١٩٨٢ صفحة ٥٧٨ - ٥٨٢.

## ٥ - توصيات لجنة كنج - كراين[1]

تقدّم اللجنة إلى مؤتمر الصلح الآراء الآتية لمعالجة المسألة السورية:

أ - إن أول وأهم ما تشير به هو أنه مهما كانت الإدارة أجنبية، سواء كان ما يؤتى به إلى سورية دولة أو أكثر - أن لا تأتي كدولة مستعمرة، بل كدولة وصية من قبل جمعية الأمم، ومهمتها المقدّسة.

١ - ويجب أن تكون مدة الوصاية محدودة تعيّنها الجمعية حسب الحقائق التي تراها في تقارير الدولة الوصية.

٢ - وأن تكون للدولة الوصية سلطة كافية ذات زمن محدود أيضاً، لتكفل نجاح الحكومة الجديدة، وتمكّنها من القيام بالمشاريع الأدبية، والاقتصادية اللازمة لحياة البلاد.

٣ - وأن تصرف الدولة الوصية همّها الأكبر إلى التعليم الضروري لأبناء البلاد الديمقراطية، وتكوين روح وطنية قوية، وهذا لازم بنوعٍ خاصٍ في سوريا التي استفاق ضميرها حديثاً.

٤ - وعلى الدولة الوصيّة أن تسعى منذ البداية لتدريب الشعب السوري على الحكم الذاتي المستقلّ بأسرع ما تسمح

(١) نقلاً عن «الثورة العربية الكبرى» للأستاذ أمين سعيد - ٢٠ : ٧١.



الأحوال، وذلك بانشاء جميع ما يقتضي لحكومة ديمقراطية من الدساتير، واشراك السكان في الإدارة، وزيادة نصيبهم من الحكم شيئاً فشيئاً، حتى تنشأ بالتدريج روحُ وطنيةٌ متنوّرةٌ في الوطنيين لا تنظر إلى مصلحتها الشخصية عند النظر في مصلحة البلاد، وتتألف في الوقت نفسه قوة كبيرة منظّمةٌ لخدمة البلاد.

٥ - ولما كان من الواجب أن لا يطول زمن المشارفة بلا سبب مشروع، فمن الضروري انشاء حكومة ذاتية مستقلة حالما يمكن الاقدام على هذا الأمر، مع العلم بأن الغرض الأول من الحكومات، ليس الحصول على أشياء معيّنة، بل ترقية الوطنيين.

٦ - ومن واجب الدولة الوصية في سوريا، وفي هذا العصر المتمدّن أن تجعل الحرية الدينية التامة في مأمن قولاً في الدساتير، وعملاً في الإدارة. وأن تكون عنايتها شديدة بالمحافظة على حقوق الأقليات، إذ لا شيء أكثر أهمية من هذا في نجاح الحكومة العربية الجديدة.

٧ - ويجب التوقّي من تراكم الديون الكبيرة على الحكومة الجديدة في ترقيتها الاقتصادية، كما يجب التوقّي من غمسها في شؤون الدولة الوصية الاقتصادية، والمحافظة من جهة أخرى على امتيازات الأجانب: كحقوقهم في انشاء المدارس، والمشاريع الاقتصادية، الخ.. ومن الواجب عرضها على جمعية الأمم لتعدّلها كما تقتضي مصلحة سورية. ولا ينبغي للدولة الوصية أن تستخدم سلطتها لتأييد مشاريع احتكارية إلى حد يضرّ بسورية، أو الأمم الأخرى. بل يجب أن تعمل للسير بالحكومة الجديدة إلى

الاستقلال الاقتصادي، سريعاً، كالسير إلى الاستقلال السياسي.

ومهما كان نصيب الآراء الأخرى، فإنه يجب العمل بهذه الآراء إذا كان مؤتمر الصلح، وجمعية الأمم، مخلصين لمبدأ الوصايات. وتجب المحافظة على مصالح سورية الجوهرية كيفما كان شكل الإدارة فيها. فإن المؤتمر السوري في دمشق تساوره المخاوف من جعل سورية مستعمرة لإحدى الدول تحت اسم آخر غير الاستعمار (الانتداب)، فذلك يجب نزع هذا الخوف بنزع أسبابه.

ب ـ وتشير اللجنة في الدرجة الثانية بالمحافظة على وحدة سورية حسب رغائب السواد الأعظم من سكانها، كما تدلّ على ذلك عرائضهم:

١ ـ لأن البلاد المشار إليها، محدودة، وعدد سكانها قليل جداً، ووحدتها الجغرافية، والاقتصادية، والجنسية، واللغوية، واضحة بيّنة لا تحتمل إنشاء حكومات مستقلة ضمن حدودها المطلوبة. وإذا كان في الوسع تجنّب هذا التقسيم، فإن البلادعربية، بلغتها، ومدنيتها، وتقاليدها، وعاداتها.

٢ ـ إن هذا الرأي مطابق للنظريات العامة التي سبق ورودها. كما أنه ينطبق على مبادىء جمعية الأمم، ويتّفق مع رغائب الأكثرية في البلاد.

٣ ـ ويجب أن ترسم حدود سورية الجغرافية لجنة خاصة، وتعتقد اللجنة أن طلب المؤتمر السوري إدماج كيليكية في سورية لا مسوّغ له تاريخياً، ولا تجارياً، ولا من حيث العلاقات اللغوية، لأن الحد الفاصل بين أبناء اللسان العربي، وأبناء



اللسان التركي يضع كيليكية مع آسيا الصغرى، أكثر مما يضعها مع سورية. وعلاوةً على ما تقدّم فليست سورية محتاجة إلى شاطىء آخر مثل أقسام آسيا الصغرى.

٤ ـ ولا ينبغي حين الاعتراف بوحدة سورية، نسيان الأماني الطبيعية في المناطق التي تشبه لبنان الذي له نوع من الاستقلال. وتكون الوحدة أصحّ وأمتن، إذا أُعطي لبنان، وما شاكله، نوعاً واسعاً من الاستقلال الإداري. فإن برنامج دمشق نفسه، يطلب حكومة على قاعدة اللامركزية الواسعة. تمتّع لبنان بكثير من الرخاء، والحكم الإداري في المملكة التركية، فمن الضروري، أن لا يكون حظه في المملكة السورية أقلّ من حظّه في المملكة التركية، بل يجب أن يُعتقد بأن علاقاته الاقتصادية، والسياسية، مع باقي سورية، تكون، وهو عضوٌ في سورية، أفضل منها إذا انفصل عنها انفصالاً تاماً.

وبالطبع، إن لبنان، كبلاد أكثر سكانها مسيحيون، يُخشى تسلّط المسلمين في سورية المتحدة. وهناك موانع أربعة تقيه هذا الخوف:

أولاً: استقلاله الإداري الواسع.

ثانياً: وجود دولة وصية قوية مدة طويلة تسمح بأن يتألف فيها الدستور الذي تسير عليه الحكومة الجديدة.

ثالثاً: مشاركة جمعية الأمم التي تحافظ على الحرية الدينية، وحقوق الأقليات.

رابعاً: شعور الحكومة العربية بضرورة المحافظة على لبنان، لكي تستطيع الدخول في جمعية الأمم.

وعلاوة على ذلك، فإذا كان عدد المسيحيين كبيراً، في داخل المملكة، يزول الخطر من جنوح المسلمين إلى الاستياء الذي لا بُدّ منه إذا كان عدد المسيحيين كبيراً خارج المملكة. وهذا الأمر تؤيّده الحوادث في الهند، في علاقات الأديان المختلفة.

ثم إن لبنان كبلاد سكانها مسيحيون، يكون أقوى، وأفيد، إذا كان ضمن سورية المتحدة، مما لو كان خارجها منفرداً لوحده، إذ يكون شريكاً لها في منافعها، ومصالحها الحيوية. ولذلك نرى أن تكون سورية ولبنان متّحدَين معاً، لفائدتها، وهذا رأي اللبنانيين المتنوّرين أنفسهم. ومثل هذا الكلام يُقال عن فلسطين، وهي وإن كانت (الأرض المقدسة) عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء، فإنها ذات موقف دقيق يحتاج إلى معالجة دقيقة. وسيأتي الكلام عنها في سياق الحديث عن الصهيونية.

## الوحدة السورية والوصايات

ج - تشير اللجنة في الدرجة الثالثة بوضع سورية تحت وصاية دولة واحدة كواسطة طبيعية لتأمين الوحدة وفائدتها:

١ - ولا ترى تقسيم إدارة المقاطعات السورية بين عدة وصيّات، ولو كانت الوحدة الوطنية معترفاً بها، فليست هذه، ولا تلك، بالطريقة الطبيعية التي تعتقد اللجنة أنها الفضلى لتوحيد الحكومة الجديدة، أو الشعب كلّه. وليس من المستبعد أن ترغم الظروف مؤتمر الصلح على الأخذ بوصاية مقسّمة، وهذا ليس بالحلّ الذي يجب اختياره عن طواعية، لعدم إتفاقه مع مصلحة السكان الكبرى.



٢ - ويجب أن لا ننسى أن السوريين هناك، وأنهم مضطرون إلى الاتفاق معاً على صورة ما، ولا بُدَّ لهم من العيش بعضهم مع بعض، سواء العرب في الجهة الشرقية، أو الذين على الساحل من المسلمين والمسيحيين. فهل يعاونون على ذلك، أم يعرقلون بإنشاء علاقات ودية ولائية بواسطة دولة وصية واحدة؟.

لا ريب في أن الحل الإداري السريع لمسألة العلاقات الصعبة، هو تقسيم القوم إلى أجزاء صغيرة مستقلة، وبعض الأحيان لا بُدّ أن يكون الفصل جليّاً واضحاً، كما في قضيّة العلائق بين الترك والأرمن. ولكن الفصل التام بين تلك الأجزاء لا ينتج عنه غير اشتداد الخلاف، وزيادة العداوة بين العناصر.

إن العبرة التي يلقيها علينا درس الشعور الاجتماعي الحديث توجب إدراك (النصف الآخر)، على قدر ما يُستطاع إدراكه بالعلاقات المكينة الحيّة؛ فعلى الدولة الوصية التي تمنح بعض الجماعات استقلالاً إدارياً محليّاً معقولاً أن تعمل في الوقت نفسه على تقوية وحدة الشعور الوطني في سائر البلاد، وعلى تحسين العلاقات الودية بين تلك الجماعات المختلفة، لأن سكان سورية، كما سمعناهم، أكّدوا لنا مراراً أن العلاقات القديمة بين الجماعات المختلفة، ناشئة عن سياسة الحكومة التركية السيّئة، فإذا شمل العدل الجميع، على السواء، ووضح أن غرض الحكومة هو خدمة جميع الطبقات بلا تفضيل، ولا تميز - تحسّنت العلاقات، وزال سوء التفاهم، ولا يتم الوصول إلى هذا الأمر بتفريق الناس، بعضهم عن بعض، وجعلهم أعداء.

بناءً على ما تقدّم يلحّ رجال اللجنة في وضع سورية تحت وصاية واحدة، وذلك لفائدة المذاهب، والجماعات كلّها.

## الأمير فيصل

د - وتشير (اللجنة) رابعاً، بأن يكون الأمير فيصل، رئيس حكومة سورية المتحدة، للأمور التالية:

١ - طلب المؤتمر السوري التمثيلي هذا الطلب بالإجماع، باسم الشعب السوري، وليس هناك ما يحمل على الشك بأن السواد الأعظم من سكان سورية يرغبون رغبةً صادقةً في أن يكون الأمير فيصل حاكماً.

٢ - إن المملكة الدستورية القائمة على مبادىء الديمقراطية ملائمة للعرب بطبيعة الحال، ولما ألفوه من أحوال القبيلة، ولاحترامهم لزعمائهم، فإنهم يحتاجون أكثر من كل شعب إلى ملك كمركز شخصيّ لسلطة الحكومة.

٣ - إن الأمير فيصل وصل إلى سلطته الحاضرة وصولاً طبيعياً، ولا يوجد شخص آخر يقوم مقامه.

ومن مميّزاته أنه ابن شريف مكة، وله مقام كبير في العالم الإسلامي، وكان أحد زعماء العرب الكبار الذين حملوا التبعة في ثورة العرب ضد الترك، واشتركوا في تحرير الشعوب الناطقة بالعربية في المملكة التركية. ولذلك وضع فيه المؤتمر السوري ثقته التامة. ولقد أخذ الانكليز بناصره، وتوسّموا أخيراً من تقلّده رئاسة الحكومة العربية الجديدة. فهو عربي عصري، يميل إلى الأخذ بفضائل المدنيّة الغربية.



وصلاته مع العرب في شرق سورية، وديّة، فلا خوف على مملكته من هذا الجانب. ولكنه بالطبع غير محبوب من المسيحيين في الشواطىء، كما هو محبوبٌ من العرب في المنطقة الشرقية. ولكن هيهات أن يوجد رجل يتّفق الناس على محبته أكثر منه، فهو متساهلٌ، حكيمٌ، حاذقٌ في سلوكه مع الناس، واكتساب مودّتهم وثقتهم، وهو رجلٌ مخلصٌ، بعيد النظر. ولا يمكن الجزم الآن فيما إذا كانت له القوة الكافية التي يحتاج إليها في معالجة الصعوبات، ولكن مما لا شكّ فيه أنه لا يوجد زعيم عربي آخر، فيه من عناصر القوة ما فيه، وسيكون أكبر معين في زمن الوصاية.

يستطيع مؤتمر الصلح أن يثق كل الوثوق بأن وجود عربي له هذه الصفات على رأس هذه الحكومة الجديدة في الشرق الأدنى مفيد.

## الصهيونية

هـ - تشير اللجنة بوجوب تنقيح البرنامج الصهيوني لفلسطين تنقيحاً كبيراً، لا سيما مهاجرة اليهود غير المحدودة التي ترمي إلى جعل فلسطين بلاداً يهودية:

١ - باشرت اللجنة درس الصهيونية، وهي ميالة إلى استحسانها، ولكن الحقائق الحسية التي وجدتها في فلسطين، مع قوة المبادىء العامة التي أعلنها الحلفاء، وقبلها السوريون، حملتها على وضع المشورة الآنفة.

٢ - تلقّت اللجنة من اللجنة الصهيونية فصولاً انشائية كثيرة عن البرنامج الصهيوني، وسمعت كثيراً عن المستعمرات

الصهيونية، ومطالبها في المؤتمر، ورأت بنفسها شيئاً مما فعلته، ووجدت عدداً كبيراً يؤيّد أماني الصهيونيين وخططهم، وهي تعجب من انصراف تلك الجوالي إلى العمل، وتغلّبها بالوسائط الحديثة على العقبات الطبيعية.

٣ ـ تعتقد اللجنة أن الصهيونيين حصلوا على تشجيع معلوم من الحلفاء في تصريح اللورد بلفور الذي كثر اقتباسه، والاستشهاد به، وتصديق ممثّلي الحلفاء الآخرين عليه. إنما إذا عُمل بهذا التصريح الذي يقضي بانشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين، مع الفهم الصريح بأنه لا يجب أن يُعمل شيء يمسّ بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية في فلسطين». إذا عُمل بهذا النص لا يبقى شك في أنه يجب ادخال تعديل كبير على البرنامج الصهيوني.

إن انشاء وطن قومي «للشعب اليهودي» لا يعني جعل فلسطين بلاداً يهودية، كما أنه لا يمكن إقامة حكومة يهودية بدون اهتضام الحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين. والحقيقة التي وقفت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثّلي اليهود، هي أن الصهيونيين يتوقّعون أن يجلوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضي منهم.

إن الرئيس ولسن في خطبته التي ألقاها في ٤ يوليو سنة ١٩١٨، وضع المبدأ التالي كواحدٍ من المقاصد الأربعة الكبرى التي يحارب الحلفاء من أجلها وهو:

«حلّ كل مسألة سواء كانت تتعلّق بالأرض، أو السيادة، أو المسائل الاقتصادية والسياسية، يجب أن يُبنى على قبول الناس الذين يتعلّق بهم قبولاً حرّاً، لا على المصالح المادية، أو الفائدة أي دولة



أو أمّة أخرى ترغب في حلّ آخر خدمةً لنفوذها الخارجي أو لسيادتها». فإذا كان هذا المبدأ سيسود، وإذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيُعمل بها فيما يتعلّق بفلسطين، فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين ـ وهم تسعة أعشار السكان كلّهم تقريباً ـ يرفضون البرنامج الصهيوني رفضاً باتاً، والجداول تثبت أن سكان فلسطين لم يُجمعوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض. فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لا حدّ لها، ولضغط اقتصادي اجتماعي متواصل ليسلّم بلاده ـ نقضٌ شائن للمبدأ العادل الذي تقدّم شرحه، واعتداء على حقوق الشعب، وإن كان ضمن صور قانونية.

وقد اتّضح أيضاً أن الشعور العدائي ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين، بل يشمل سكان سورية بوجه عام. فان ٧٢ بالمئة من مجموع العرائض ـ البالغ عددها ١٣٥٠ ـ في سوريا ضد الصهيونية، ولم ينل مطلب نسبة أكبر من هذه النسبة غير الوحدة السورية والاستقلال. وقد أعرب المؤتمر السوري الدمشقي عن هذا الشعور العام في المواد ٧ و٨ و١٠ من بيانه.

ولا ينبغي لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ أشدّه وليس من السهل الاستخفاف به. فإن جميع الموظفين الانكليز الذي حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلّحة، ويجب أن لا تقلّ هذه القوة عن خمسين ألف جندي. وهذا نفسه برهان واضح على ما في البرنامج الصهيوني من الاجحاف بحقوق غير اليهود. لا بد من الجيوش في بعض الأحيان لتنفيذ القرارات؛ ولكن ليس من المعقول أن تُستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة.

هذا فضلاً عن أن مطالب الصهيونيين الأساسية في حقّهم على فلسطين مبيّنة على كونهم احتلّوها منذ ألفي سنة، وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام.

وهناك أمر لا يجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين مع الوقت بلاداً يهودية، وهو أن فلسطين هي الأرض المقدّسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين، على السواء؛ يهم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين في العالم، ولا سيما ما يتعلّق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق. فمسألة فلسطين، وما يتفرّع منها مسألة دقيقة حرجة، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدّسة تحت رعاية اليهود، مهما حسنت مقاصد هؤلاء. والسبب في ذلك هو أن الأماكن الأكثر تقديساً عند المسيحيين هي ما له علاقة بالمسيح، والأماكن التي يقدّسها المسلمون غير مقدّسة عند اليهود بل مكروهة. ولا يستطيع المسلمون والمسيحيون في هذه الأحوال أن يرضوا عن وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود. ثم هناك أماكن أخرى لها في نفوس المسلمين مثل هذا الشعور. ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة من المسلمين، كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمراً طبيعياً. فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حسابها، ولا للشعور العدائي ضد الصهيونية في جميع أنحاء العالم التي تعتبر فلسطين أرضاً مقدّسة.

وبناءً على ما تقدم تشعر اللجنة، مع عطفها على مسألة اليهود، أن الواجب يقضي عليها بأن تشير على المؤتمر أن لا يؤيّد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدريج، وبعبارة



اخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية إلى فلسطين، والعدول بتاتاً عن الخطة التي ترمي إلى جعل فلسطين حكومة يهودية.

ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين إلى سورية المتحدة كأقسام البلاد الأخرى، ووضع الأماكن المقدّسة تحت إدارة لجنة دولية دينية، تكون كما هي الحال في الوقت الحاضر تحت إشراف الدولة الوصية، وجمعية الأمم، ويكون لليهود بالطبع عضو في هذه اللجنة.

لمن تكون الوصاية على سورية؟.

إن هذه الآراء الآن تؤدي بالطبع إلى ضرورة الإشارة إلى الدولة التي يجب أن تكون وصية على سورية كلها:

١ ـ إن الاعتبارات التي سبق الكلام عنها تُبيِّن الصفات المطلوبة في الدولة الوصية، وأول هذه الصفات أن يكون مرغوباً فيها من السكان، وأن تتقيد بروح نظام الوصاية قلباً وقالباً، وتعمل للغرض الذي وُضع النظام لأجله، وترضى بالجلاء بعد زمنٍ معلوم، ولا تحاول استغلال البلاد لمصالحها الشخصية، ويجب أن يكون لها شغفٌ بالديمقراطية وترقية الجمهور، وإحياء الروح الوطنية، وتحتاج في هذه المهمة التي لا شكر عليها إلى رغبة غير محدودة، وصبر طويل، إذ لا تستطيع دولة أن تنظر نظرات صادقة في الأحوال المحسوسة ـ كملكية الأراضي مثلاً ـ وتحاول أن تُصلح تلك الأحوال بدون أن يكون لها كثير من الأعداء. ويجب أن تكون قد سبقت لها خبرة في سياسة قوم أقل ارتقاءً، وأن تكون ذات موارد كبيرة في الرجال والمال.

٢ ـ من المرجّح أن هذه الصفات لم تجتمع في دولة، ومن المؤكّد أنها لم تجتمع فيها متناسبة متوازية. وهذه الصفات مطلوبة كثيراً

أو قليلاً، كما ظهر لنا من أحاديثنا مع الأمة السورية، ووجود هذه الصفات يؤدي إلى صور جديدة في العلاقات بين الأمم بحيث تدخل فيها روح التضحية. والدولة التي تأخذ الوصاية على سورية كلها على هذه الشروط لا تخدم سورية وحدها بل العالم كلّه، وفي الوقت ذاته تخدم نفسها لأنها تعمل على تحقيق مقاصد الحلفاء السامية في الحرب، وتعطي برهاناً دائماً أن هذه المقاصد لم تهمل الأمر الذي يساعد كثيراً على استبقاء الأمم متحدة متماسكة بمبادئها العالية.

٣ - إن قرارات مؤتمر الصلح في ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ مندمجة في الأوامر المعطاة لنا، وهي توضح حالة المناطق التي ستُفْصَل فصلاً تاماً عن المملكة التركية. وقد جاء فيها «إنه يجب أن تراعى رغائب هذه الجماعات في اختيار الدولة الوصيّة أولاً».

إن ما وصلنا إليه في درسنا لا يدع مجالاً للشك في رغبة أكثرية الشعب السوري؛ فإنه بالرغم من كون قبول أميركا الوصاية أمراً مجهولاً كل الجهل، وبالرغم من كون اللجنة لم تشجّع الأفكار على الاتجاه نحو هذه الجهة، أو الأخذ بها، بل ثبّطتها - إنه مع ذلك، فقد كانت أميركا الدولة التي اختارها السوريون في الدرجة الأولى، وكانت نسبة العرائض التي تطلبها ٦٠ بالمئة في المجموع كلّه - عددها ١١٥٢ - بينما لم تنل دولة أخرى أكثر من ١٥ بالمئة من المجموع.

وقد ثبت أن القوم يعرفون الأسباب التي بنوا عليها اختيارهم أميركا، فهم يقولون إنما اختاروها لأنهم يعرفون سيرتها، ومقاصدها السامية التي لا تشوبها شائبة، والثقة التي لها عند الجماهير السورية التي كانت في أميركا، والروح الطيّبة



التي ظهرت من المعاهد الأميركية التهذيبية في سورية، ولا سيما كلية بيروت التي تواصل تشجيع الروح الوطنية السورية، مما أثبت لهم أن أميركا ليس لها مطامح جغرافية ولا استعمارية، وإنها لا تلبث أن تنجلي من تلقاء نفسها، حالما يثبت بناء الحكومة السورية. ويتّخذون كوبا والفيليبين مثلين على روحها الديمقراطية النبيلة، ومالها من الموارد الغزيرة. وهكذا يتّضح من النظر في رغائب الشعب السوري أن الوصاية يجب أن يُعهد بها إلى أميركا.

٤ - أما من حيث الصفات المطلوبة في الدولة الوصية على سوريا، فأميركا التي اختارها الشعب بالدرجة الأولى، لا خوف عليها من تقديم كل امتحان دقيق على المقياس الذي أشرنا إليه في كلامنا السابق. فهي وإن كانت أقلّ خبرةً من انكلترا في هذا العمل، وربما كانت علاقاتها مع سورية غير كثيرة، ولا متينة مثل علاقات فرنسا، فهي على الأقل حاصلة على الصفة التي يتطلّبها نظام الوصاية الجديد الذي يحدّد العلاقات التي يجب أن تكون لدولة كبيرة مع شعب ضعيف.

وهي وإن قبلت الوصاية مع التردد، فإنها سترى كيف أن المنطق يقضي بحمل هذه التبعة التي نجمت عن المقاصد التي خاضت الحرب من أجلها، وعن دعوتها إلى تأليف جمعية الأمم.

٥ - وهناك مسألة أخرى وهي أن أميركا هي الدولة التي تقدر أن تعالج المسألة السورية - في البدء على الأقل - بدون اعتراض عليها من الشعب السوري، فقد ظهر أن الأكثرية ترغب في مجيئها أكثر من رغبتها في مجيء أية دولة أخرى.

وإنه لأسهل على انكلترا وفرنسا معاً أن تتنازلا عن مطالبهما لأميركا من أن تتنازل إحداهما للأخرى، وهي الدولة التي ليس لها منافس، ولها موارد غزيرة تساعدها على نشر العمران في سورية، الأمر الذي يفيد الأمم التي لها صلات مكينة مع سورية، ويساعد على ضبط العلاقات الودية بين الحلفاء، يضاف إلى ذلك أن الانكليز الذين لهم مصالح كبيرة في مصر، وبلاد العرب، والعراق، لا يرحّبون بدولة أخرى مثلما يرحبون بصيرورة أميركا جارةً لهم، وكذلك العرب، والسوريون في تلك المناطق، والفرنسيون الذين لهم مصالح كثيرة خصوصية في بيروت ولبنان. . .

ثم يعدّد التقرير المصاعب التي تواجه أميركا في مجال قبولها الوصاية، وعلى هذا الأساس ينصح باعطاء الوصاية، في حال رفض أميركا، إلى انكلترا «لأن هذا يزيد كثيراً على العرائض التي تطلب فرنسا، بل إن ٦٠٪ من العرائض تحتج بشدّة على وصاية فرنسوية مباشرة، وتتحاشى اللجنة البحث في أسباب هذه الحالة. . . إن شعور العرب في الجهة الشرقية (سوريا) شديد ضد فرنسا. . . .». ثم يعدّد التقرير الاعتراضات على بريطانيا العظمى «خوفاً من أن وضع الوصاية في أيدي الانكليز يحوّل الدولة الوصية إلى دولة استعمارية من الطراز القديم. . . .». ثم يتطرّق التقرير أخيراً إلى وضع العراق، فيوصي بأن يكون للانتداب عليها «أجلٌ محدود، وأن تقرّر موعد انتهائه عصبة الأمم. . . على أن تصان وحدة العراق، وتخطّط حدوده، ويوضع تحت وصاية دولة واحدة تكون حكماً أمريكية من غير بديلٍ ثانٍ»، خوفاً من خطر وضعها تحت الوصاية الانكليزية، فيؤدي ذلك حسب ما جاء في تقرير اللجنة إلى



«هجرة هندية واسعة النطاق» إليها، باعتبارها بلداً غنياً بموارده الاقتصادية، «ووافر الغنى بالإمكانات الزراعية والبترول، وغيره من المصادر». . . . ويعطي التقرير العراقيين الحق في التخوّف «من التمازج بشعب آخر (ولو كان هذا الشعب من الهنود المسلمين) من عرقٍ متباين كليةً، وعاداتٍ مختلفة، باعتباره يهدّد حضارتهم العربية».

مع الاحترام

هنري س. كنج

تشارلس ر. كراين

## ٦ ـ مقررات المؤتمر السوري العام[1]

«إننا نحن الموقعين أدناه بامضاءاتنا، وأسمائنا، أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام، والمؤلَّف من مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية، والشرقية، والغربية، الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم، من مسلمين ومسيحيين وموسويين، قد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الأربعاء المصادف لتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبيّنة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا، ورفعها إلى الوفد الأميركي المحترم من اللجنة الدولية (لجنة كنج ـ كراين المنوّه عنها آنفاً ـ وجميع البنود، ووفق عليها بالإجماع، عدا البند الخامس الذي أقرّته أغلبية عظمى ـ وكان الحاضرون يمثّلون لبنان وسوريا وفلسطين، والأردن، ولا سيما الولايات العثمانية السابقة خارج جبل لبنان ـ وكان رياض الصلح من أبرز ممثّلي لبنان):

(١) ترجمة الأستاذ جورج انطونيوس صاحب كتاب «يقظة العرب» (الذي استعنّا به لوضع هذه الملاحق) نقلاً عن الثورة العربية الكبرى، لأمين سعيد ٢ : ٤٨.

«أولاً : إننا نطلب الاستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية التي تحدّها شمالاً جبال طوروس، وجنوباً (رفح) فالخط المار من جنوب (الجوف) إلى جنوب العقبة الشامية (خليج العقبة)، و(العقبة الحجازية)، وشرقاً نهر الفرات، فالخابور، والخط الممتد شرقي (أبي كمال) إلى شرقي (الجوف)، وغرباً البحر المتوسط، بدون حماية ولا وصاية.

«ثانياً : إننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكيةً، مدنيةً، نيابيةً، تُدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة، وتُحفظ فيها حقوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل (ابن شريف مكّة الحسين بن علي) الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الأمة جهاداً استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه، وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموّه (وملامح تأثير لجنة كنج ـ كراين التي كانت تقف وراء هذا المؤتمر واضحة تماماً).

«ثالثاً : حيث إن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية شعب لا يقلّ رقياً من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية، وليس هو في حالة أحطّ من حالات شعوب البلغار، والصرب، واليونان، ورومانيا، في مبدأ استقلالها، فإننا نحتج على المادة (٢٢) الواردة في عهدة جمعية الأمم، والقاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة.

«رابعاً: إذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل، لاعتبارات لا نعلم كنهها، فإننا بعدما أعلن الرئيس ولسن، إن القصد من دخوله في الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار، نعتبر مسألة الانتداب الواردة في عهدة جمعية الأمم عبارة عن مساعدة فنّية واقتصادية لا تمسّ باستقلالنا السياسي التام.



وحيث أننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار. وحيث اننا نعتقد أن الشعب الأميركي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار، وأنه ليس له مطامع سياسية في بلادنا، فاننا نطلب هذه المساعدة الفنّية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأميركية على أن لا تمسّ هذه المساعدة استقلال البلاد السياسي التام، ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاماً.

«خامساً : إذا لم تتمكّن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها، فاننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى على أن لا تمسّ استقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة.

«سادساً: إننا لا نعترف بأي حقٍ تدّعيه الدولة الفرنسية في أي بقعة كانت من بلادنا السورية، ونرفض أن يكون لها مساعدة ويد في بلادنا بأي حالٍ من الأحوال.

«سابعاً: إننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي في البلاد السورية، أي فلسطين وطناً قومياً للإسرائيليين. ونرفض هجرتهم إلى أي قسمٍ من بلادنا. لأنه ليس لهم فيها أدنى حق. ولأنهم خطر شديد جداً على شعبنا من حيث الاقتصاديات، والقومية، والكيان السياسي. أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين، فلهم مالنا، وعليهم ما علينا.

«ثامناً: إننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين، والمنطقة الغربية الساحلية التي جملتها لبنان، عن القطر السوري، ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حالٍ كان.

«تاسعاً: إننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرّر، ونطلب عدم ايجاد حواجز اقتصادية بين القطرين.

«عاشراً: إن القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ولسن التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتجّ على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية. أو كل وعد خصوصي يرمي إلى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا. ونطلب أن تُلغى تلك المعاهدات، والوعود بأيّ حالٍ كان.

«هذا وإن المبادىء الشريفة التي صرّح بها الرئيس ولسن لتجعلنا واثقين كل الثقة من أن رغائبنا هذه الصادرة من أعماق القلوب، ستكون هي الحكم القطعي في تقرير مصيرنا. وإن الرئيس ولسن، والشعب الأمريكي الحرّ سيكونون لنا عوناً على تحقيقها، فيُثْبتون للملأ صدق مبادئهم السامية، وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوعٍ عام، ونحو شعبنا العربي بنوع خاص. وإن لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نثر على الدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية، إلاّ لأنها تحاملت على حقوقنا القومية، فيحقق لنا رغائبنا بتمامها، فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقلّ منها بعد الحرب، بعد أن أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال. ونطلب السماح لنا بإرسال وفدٍ يمثّلنا في مؤتمر السلام، للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقاً لرغباتنا هذه، والسلام».

دمشق في ٢ تموز ١٩١٩

وختاماً، عسى نكون بموسوعتنا هذه، قد استطعنا المساهمة، ولو بقسطٍ متواضع، في خدمة قضايانا الوطنية، وتراثنا العريق، وألقينا، ولو قبساً ضئيلاً ينير السبيل، إلى مزيدٍ من النور والاشعاع،



حتى تنكشف كل ثنايا تاريخنا، ومنعطفاته، فتستطيع عندها أجيالنا الطالعة أن تتبيّن معالم الطريق الصحيح، فتسير بخطىً ثابتة نحو الأمل المنشود، والمستقبل الزاهر. . . .

ونعتذر عن كل خطأ، إذ جُلَّ من لا يُخطىء وللقارىء الشكر مهما كان رأيه في ما كتبنا، باعتباره بذل جهده للاطّلاع، والوقوف على رأينا. . . وللبنان دوام السيادة، والعزّة، والاستقلال، والكرامة، والعنفوان. . . . !.

**جران - البترون في ١٩٩١/٨/١٥**

**عبدالله أبي عبدالله**

# المصادر والمراجع


١ ـ الأب اسطفان البشعلاني «يوسف بك كرم ولبنان» ـ مكتبة صادر ١٩٢٥ .

٢ ـ أنيس الصايغ «لبنان الطائفي»، دار الصراع الفكري ـ بيروت ـ ١٩٥٥ .

٣ ـ ايليا حريق «التحوّل السياسي في تاريخ لبنان الحديث» ـ دار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢ .

٤ ـ أحمد طربين «لبنان» ـ معهد العلوم والدراسات العربية .

٥ ـ اسماعيل حقي بك «لبنان» ١٩١٦ ـ بعبدا .

٦ ـ ابراهيم بك الأسود «دليل لبنان» بعبدا ـ العرفان ـ سنة ١٩٠٦ .

٧ ـ الأب بوجولا Beaujoula» «الحقيقة في سوريا». باريس سنة ١٨٦١ .

٨ ـ الخوري بولس روحانا «مخطوطة» ـ أمانة سر رعية بيت الدين .

٩ ـ الشيخ بشارة الخوري «حقائق لبنانية» ـ مذكرات ـ ٣ أجزاء سنة ١٩٦٠ .

١٠ ـ توفيق توما ـ «الحركة الفلاحية» منشورات الجامعة اللبنانية و «المؤسسات الدرزية والمارونية في لبنان» بيروت ١٩٧١ .

١١ ـ جواد بولس «تاريخ لبنان» دار النهار ١٩٧٢ ـ «التحولات الكثيرة في تاريخ الشرق الأدنى» دار عواد .





١٢ ـ جودت باشا «تاريخ السلطنة العثمانية» .

١٣ ـ جارور حبيش ـ ارشيف بكركي رقم $\frac{٥٨}{٧}$ مخطوطات .

١٤ ـ جورج انطونيوس «يقظة العرب» دار العلم للملايين ١٩٨٢ .

١٥ ـ جورج شحاده «مشاهير اللبنانيين في المهجر» .

١٦ ـ جورج برناردشو «في مقال عنه في مجلة La Revue du Liban ١٣ أيار سنة ١٩٦١ .

١٧ ـ جرجي زيدان «مجلة الهلال» ١٩٨٢ ـ «التراجم» .

١٨ ـ خيرالله طنوس خيرالله «سوريا سنة ١٩١٢ ـ باريس ـ «البلدان العربية المحرّرة. . . . لبنان سوريا فلسطين» باريس ـ Ed. Le Roux Paris 1991.

١٩ ـ رشاد الموسوي «معلمو معلمي لبنان». بدون تفاصيل النشر والتاريخ .

٢٠ ـ سميليا نسكايا «الأرشيف الروسي» .

٢١ ـ سر بوليفر Boliver سفير انكلترا في الآستانة ـ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

٢٢ ـ سليم هشّي «يوميات لبناني في أيام المتصرفية» دار لحد خاطر سنة ١٩٨٣ .

٢٣ ـ سعيد رزق «جزين وأسرها» بعبدا ـ مطبعة العرفان سنة ١٩٥٣ .

٢٤ ـ سعيد عقل «لبنان إن حكى» .

٢٥ ـ طنوس الشدياق «أخبار الأعيان في جبل لبنان» ـ نشرة البستاني سنة ١٩٧٠ .

٢٦ ـ عبدالله أبي عبدالله «سمّره» ١٩٨١ ـ «جبيل والبترون والشمال في التاريخ» سنة ١٩٨٧ .

٢٧ ـ عمر الديراوي «الحرب العالمية الأولى» دار العلم للملايين ـ سنة ١٩٧٩ .

٢٨ ـ الدكتور عصام خليفة «أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر» دار الجيل سنة ١٩٨٥ .

٢٩ ـ عيسى اسكندر المعلوف «دواني القطوف. . .» بعبدا ـ ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨

٣٠ ـ عارف النكدي «تاريخ جبل عامل» .

٣١ ـ فريد وفيليب الخازن «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية» ٣ أجزاء دار الرائد سنة ١٩٨٣ .

٣٢ ـ الدكتور فؤاد شاهين «الطائفية» ـ دار الحداثة ـ بيروت سنة ١٩٨٠ .

٣٣ ـ فيليب دي طرزي «الصحافة العربية».

٣٤ ـ الدكتور فيليب حتي «تاريخ لبنان» دار الثقافة ١٩٧٢ .

٣٥ ـ قسطنطين الباشا «رسالة اليازجي» ١٩٦٣ .

٣٦ ـ الكولونيل تشرشل ـ قنصل انكلترا العام في لبنان ـ «الدروز» والرئيس تشرشل في خطبه.

٣٧ ـ لحد خاطر «عهد المتصرفية» دار خاطر، ١٩٨٢ .

٣٨ ـ الأب منصور الحتوني «نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية» ـ دار عبود ١٩٨٧ .

٣٩ ـ الدكتور مسعود ضاهر «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية» معهد البحوث والانماء العربي سنة ١٩٨١ .

٤٠ ـ ملكيور دي فوغه «حوادث سوريا ولبنان» Melkior de Fouguet .

٤١ ـ نسيم نوفل «بطل لبنان».

٤٢ ـ يوسف ابراهيم يزبك «أوراق لبنانية» ٣ مجلدات، دار الرائد سنة ١٩٨٣ .

٤٣ ـ يوسف بك كرم «القلائد» ومذكرات مخطوطة.

٤٤ ـ يوسف السودا «تاريخ لبنان الحضاري» دار النهار سنة ١٩٧٢، و«في سبيل الاستقلال» ـ بيروت سنة ١٩٦٧ .

٤٥ ـ وثائق دير مار يوحنا مارون ـ مدرسة النصر كفيفان.

٤٦ ـ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، وبكركي، وبعض الأديار.

٤٧ ـ مخطوطات قديمة، وخرائط، ومقالات صحفية.




# المراجع والمصادر الأجنبية


1 - Beasanson, «L'homme de Nil».

2 - Bliss Daniel, «Riminiscens», New york, 1920.

3 - Chevalier Dominique, «Aspects sociaux de la question d'orient», 1959.

4 - Général Ducrot «la vie Militaire».

5 - Dunand M, «Byblos», Beyrouth, 1937.

6 - Edwards Richard, «La Syria 1840-1860», Paris, 1862.

7 - Fadden Tom, «Daily journalism in the arabs states». colombux, 1953.

8 - Guide bleu, Ministère des affaires étrangères, London, 1843.

9 - Louet Ernest, «Expédition de Syrie», Paris, 1862.

10 - Robinson M, «Arabism», Encycle. Universalis.

11 - Weuleresse Jacques, «Paysans de Syrie et du Proche Orient», 6ème ed, Paris, 1946.

# فهرس الجزء السابع

---

## للمؤلف

١ ـ سُمّره ـ ديوان شعر مطبوع ١٩٨١
٢ ـ جبيل والبترون والشمال في التاريخ مطبوع ١٩٨٧

---